التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٢٠ السنة الثانية والخمسون - شعبان ١٤٤٤ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

تنبيه الأنام بأحكام وآداب تتعلق بشهر شعبان

وقفات مع كارثة زلزال تركيا وسوريا

القرآن الكريم بين وعي العقلاء وغفلة السفهاء

- دعاء ليلة النصف من شعبان
- الثمرات المباركة لصلة الأرحام
- التحذير من سوء الظن وعواقبه

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

السلام عليكم

لماذا شبه الله الدنيا بالماء؟

فائدة جليلة وجميلة للإمام القرطبي رحمه الله:

قال رحمه الله: لماذا شبه الله سبحانه الدنيا بالماء؟! عند قوله تعالى: « وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ » (الكهف: ٤٥).

قال الحكماء: شبه الله سبحانه وتعالى الدنيا بالماء:

١- لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حالٍ واحدة.

٢- ولأن الماء يذهب ويبقى، فكذلك الدنيا تفنى ولا تبقى.

٣- ولأن الماء لا يقدر أحدٌ أن يدخله ولا يبتل، وكذلك الدنيا لا يسلم أحدٌ من فتنتها وآفتها.

٤- ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعًا مُنبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًا مُهلكًا، وكذلك الدنيا الكفافُ منها ينفع، وفضولُها يضر. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٤١٢).

فيا طالبي الدنيا يحذركم الله من خطرها بقوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا » (فاطر:٥)، والوعد الحق هنا هو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: « من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة ».

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلداً

من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

من بركات الدعاء د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
فوائد وعبر من قصة موسى والخضر، عليهما السلام
د. مرزوق محمد مرزوق ٨
وقفات مع كارثة زلزال تركيا وسوريا
المستشار أحمد السيد علي ١٢
الثمرات المباركة لصلة الأرحام
الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
وفاة رقية بنت رسول الله د. سيد عبد العال ٢١
تنبيه الأنام بأحكام وآداب تتعلق بشهر شعبان
د. محمد عبد العزيز ٢٤
ظاهرة وأد البنات قبل الإسلام
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٨
القرآن الكريم بين وعي العقلاء وغفلة السفهاء
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد علاء خضر ٣٦
فقه المرأة المسلمة د. عزة محمد رشاد ٣٨
حكم الألعاب الإلكترونية
د. عبد القادر فاروق ٤١
باب الفقه د. حمدي طه ٤٣
دراسات شرعية د. متولي البراجيلي ٤٦
الأسرة المسلمة وغلاء المعيشة
د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
روائع الماضي: دعاء ليلة النصف من شعبان
الشيخ أبو الوفا درويش ٥٧
منبر الحرمين د. ماهر المعيقلي ٦١
أولاد الأنبياء بين البر والعقوق
الشيخ صلاح عبد الخالق ٦٤
مدخل إلى علم التفسير (٨) د. عاطف التاجوري ٦٧
دراسات قرآنية الشيخ مصطفى البصراتي ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

من بركات الدعاء

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد: فإن الدعاء من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد لرب الأرض والسماوات، وهو طلب من الله تبارك وتعالى، وهو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وقد أمر الله سبحانه وتعالى به في كتابه، فقال: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر: ٦٠).

وهذا الأمر من فضل الله على عباده، حيث أمرهم بدعائه، ووعدهم الاستجابة، وقال تعالى: «ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ» (الأعراف: ٥٥، ٥٦).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، فقال: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً»» قيل: معناه: تذللاً واستعانة، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب»، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وقد ذكر الله عبدًا صالحًا رضي فعله فقال: «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا». (تفسير ابن كثير، ج٢/ ص٣٠٥).

والدعاء شرفه عظيم وفوائده كثيرة، وهو للعبد من أعظم أسباب النجاة ودفع البلاء، ويدل على ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقالَ رَجُلٌ منهمْ: اللَّهُمَّ كانَ لي أبَوانِ شَيخَانِ كَبيرَانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ قَبْلَهُما أهْلًا ولَا مَالًا، فَنَأَى بي في طَلَبِ شَيءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أرِحْ عليهما حتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لهما غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُما نَائِمَيْنِ وكَرِهْتُ أنْ أغْبِقَ قَبْلَهُما أهْلًا أوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ علَى يَدَيَّ، أنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه من هذه الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شيئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ.

قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ: وقالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أحَبَّ النَّاسِ إلَيَّ، فأرَدْتُهَا عن نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى ألَمَّتْ بهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومِئَةَ دِينَارٍ علَى أنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أحَبُّ النَّاسِ إلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الذي أعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها.

قالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّمَ: وقالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فأعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحِدٍ تَرَكَ الَّذي له وذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حتَّى كَثُرَتْ منه الأمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ، أدِّ إلَيَّ أجْرِي، فَقُلتُ له: كُلُّ ما تَرَى مِن أجْرِكَ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ والرَّقِيقِ، فَقالَ: يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَسْتَهْزِئُ بي! فَقُلتُ: إنِّي لا أسْتَهْزِئُ بكَ، فأخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ منه شيئًا، اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فيه. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». (صحيح البخاري ٢٢٧٢، ومسلم ٢٧٤٣).

فهذا الحديث يدل على أن الله -تبارك وتعالى- يدفع البلاء بالدعاء، وهو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويلاحظ من حال هؤلاء الثلاثة أنهم دعوا الله مخلصين استجابة لقوله تعالى: «هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (غافر: ٦٥).

والدعاء من أعظم أسباب تحصيل السعادة، ودوامها، ويدل على ذلك ما رواه عطاء بن السائب عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللَّهُمَّ بعلمِكَ الغَيبَ، وقُدرتِكَ على الخَلقِ، أحيِني ما علِمتَ الحياةَ خيرًا لي، وتوَفَّني إذا كانَتِ الوَفاةُ خيرًا لي، أسألُكَ خَشيتَكَ في الغَيبِ والشَّهادةِ، وكَلِمةَ الحقِّ في الغَضبِ والرِّضا، والقَصدَ في الفَقرِ والغِنى، ولَذَّةَ النَّظرِ إلى وجهِكَ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ، وأعوذُ بِكَ من ضرَّاءَ مُضرَّةٍ، ومن فِتنةٍ مُضلَّةٍ، اللَّهُمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ، واجعَلنا هُداةً مَهديِّينَ» (صحيح النسائي ١٣٠٥).

وقد تضمن دعوات مباركات من النبي صلى الله عليه وسلم لربه تتحقق بها سعادة الدارين، وتأمل قوله: «وأسألك قرة عين لا تنقطع». قال ابن الأثير رحمه الله: «معنى أقر الله عينك. بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره». (النهاية في غريب الحديث، ج٤/ ص ٣٩).

والعبد ترتفع درجته عند ربه بالتذلل لله والتضرع إليه وسؤاله سبحانه وتعالى وإظهار الحاجة والفقر له - جل في علاه- والله لا يبالي بعبد لا يدعوه، قال تعالى: «قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا» (الفرقان: ٧٧).

قال ابن كثير رحمه الله: أي: لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلاً، وقوله تعالى: «فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» أي: أيها الكافرون، فسوف

يكون لزامًا، أي: فسوف يكون تكذيبكم لزامًا لكم، يعني: مقتضيًا لعذابكم وهلاككم، ودماركم في الدنيا والآخرة. (تفسير ابن كثير، ج٣/ ص ٤٥٤).

وقال ابن تيمية: «قيل: لولا دعاؤكم إياه، وقيل: لولا دعاؤه إياكم فإن المصدر يضاف إلى الفاعل تارة، وإلى المفعول تارة، ولكن إضافته إلى الفاعل أقوى، لأنه لا بد له من فاعل، ولهذا كان هذا أقوى القولين، أي: ما يعبأ بكم لولا أنكم تدعونه فتعبدونه وتسألونه، فقد كذبتم فسوف يكون لزامًا» أي: عذاب لازم للمكذبين. (مجموع الفتاوى، ج١٠/ ص٢٣٨).

ويُستفاد من ذلك أنه يجب على العبد أن يتضرع إلى ربه ومولاه بكثرة الدعاء، حتى يسلم من عذاب الله، وقد أثنى الله -تبارك وتعالى- على عبده وخليله إبراهيم عليه السلام بكثرة الدعاء والتضرع إلى الله، فقال سبحانه وتعالى: « وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ » (التوبة: ١١٤).

قال رشيد رضا رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ إِبْـرَاهِيـمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ»: هذه الجملة المؤكدة بوصف إبراهيم عليه السلام بالمبالغة في خشية الله والخشوع له، وبالحلم والثبات في أموره كلها، تعليل لامتناعه عن الاستغفار لأبيه بعد العلم برسوخه في الشرك ومداوة الله عز وجل، والأواه: الكثير التأوه والتحسر، وإنما يتأوه إبراهيم من خشية الله ويتحسر على المشركين من قومه ولاسيما أبيه، ويطلق الأواه على الخاشع الكثير الدعاء والتضرع لله. (تفسير المنار، ج١١/ ص٦٠).

فكن يا عبد الله أوّاهًا حليمًا، راجعًا إلى الله في جميع أمورك، كثير الدعاء والاستغفار، والدعاء من أعظم أسباب استجابة الرب الكريم للعبد، وإعطائه ما يطلب، أو ينفعه بأمور أخرى تكون سببًا في سعادته ونجاته، ويدل على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذًا نكثر، قال: الله أكثر». (مسند أحمد، ج٣/ص١٨، وصححه الألباني في الأدب المفرد: ٥٤٧).

وواضح أن الحديث أفاد استجابة رب العباد دعاء الداعي الخالي من الاعتداء، وأنه سبحانه وتعالى يعطي الداعي واحدًا من ثلاث: إما أن يعطيه سؤله معجلاً، وإما أن يدخر له مثله من الخير مؤجلاً، وإما أن يصرف عنه من السوء مثله، فالدعاء إذًا نافع ومفيد، ويحصل بسببه نيل المطلوب وتحقيق المقصود، وقد ذكر البعض أن كثيرًا من الناس يدعون ولا يستجاب لهم، وقد أجاب على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله بجواب سديد قال فيه: والجواب عن ذلك: أن كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة يعوّضه.

وقد ورد في ذلك حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم في حديث عبادة بن الصامت رفعه: «ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة إلا آتاه الله إيّاها، أو صرَف عنه من السُّوء مثلها». (فتح الباري، ج١١/ص٩٥).

وهذا نص صريح في استجابة الله دعاء الداعي، فأقبلوا على الله بقلوب خاشعة واسألوه من فضله، فهو الغني الكريم، وبيده خزائن السماوات والأرض، واعلموا أنه قريب ممن دعاه، كما قال تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ »(البقرة: ١٨٦).

فاللهم استجب دعاءنا، وأدخلنا الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الرُّوم

سُورَةُ الرُّوم
سورة الروم

قال تعالى: « فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ »

(سورة الروم: ٣٨- ٣٩)

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كيف يكون الشكر؟

«فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»:

فاءُ التَّفريعِ تُفيدُ أنَّ الْكَلَامَ بعْدَهَا مُتَرَتِّبٌ على الْكَلَامِ الَّذي قَبْلَهَا، وَقَدِ اشْتَمَلَ الْكَلَامُ قَبْلَهَا عَلَى لَحَاقِ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ بالنَّاس، وإصَابَةِ السُّوءِ إيَّاهُمْ، وَعَلَى أَنَّ مَا يُصيبُهُمْ منَ السُّوءِ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدي النَّاس، وَذِكْرِ بَسْطِ الرِّزْقِ وَتَقْدِيرِهُ. وَتَضَمَّنَ ذلِكَ أَنَّ الْفَرَحَ يُلْهِيهِمْ عَنِ الشُّكْرِ، وَأَنَّ الْقُنُوطَ يُلْهِيهِمْ عَنِ الْمُحَاسَبَةِ فِي الأسْبَابِ، فَكَانَ الأَمْرُ بِإيتَاءِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَنْكُوبِينَ إرْشَادًا إلَى وَسَائِلِ شُكْرِ النِّعْمَةِ عِنْدَ حُصُولِهَا شُكْرًا مِنْ نَوْعِهَا، وَاسْتكْشَافِ الضُّرِّ عِنْدَ نُزوله، وَإلَى أَنَّ مِنَ الْحَقِّ التَّوْسِعَةَ عَلَى الْمُضَيَّقِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ. والْخِطَابُ بِالأمْرِ لِلنَّبي صلى الله عليه وسلم بِاعْتِبَارِ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، مِمَّنْ يَحِقُّ عَلَيْه الإيتَاءُ، وَهُوَ الَّذي بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ، أَيْ فَآتُوا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: «ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ». (التحرير والتنوير ١٠٢/٢١).

حقُ ذي القربى:

وَذُو الْقُرْبَى كُلُّ مَنْ تَرْبِطُكَ بِه قَرَابَةٌ، منْ جِهَةِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ. وَبَدَأَ بِذِي الْقُرْبَى لأَنَّهُ هو الأولى بالصدقة. وَقَدْ أَكْثَرَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِه مِنَ التَّذْكِيرِ بِحَقِّ ذي الْقُرْبَى، وَالْإحْسَانِ إلَيْه، وَأَنَّهُ أَوْلَى وَأَحَقُّ بِالْبِرِّ، قَالَ تَعالَى: « يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢١٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » (النساء: ٣٦)، وَقَالَ تَعَالَى: « وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ

«وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا» (الإسراء: ٢٦).

وأكدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أيضا على حقِّ ذي القُرْبَى، وتقديمه على غيره في البرِّ والإحسان، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عامر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (الصَّدقة على المسْكينِ صَدقة، و على ذي الرَّحِم ثنْتَان: صدقة وَصِلة) (صحيح سنن النسائي: ٢٥٨١).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فلمَّا كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أنِّي أعتقت وليدتي؟ قال: (أوفعلت)؟. قالت نعم. قال: (أمَا إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك). (صحيح البخاري: ٢٥٩٢).

حقُّ الفقراء والمساكين:

وَالْمِسْكِينُ المُحْتَاجُ مِنَ النَّاسِ، وَيشْمَل الفقير، وفرَّقوا بينهما بأنَّ الفقير هو المعْدَمُ الذي لا يَمْلكُ شيئًا، والمسكين مَنْ له دَخْلٌ محدودٌ لا يكفيه. وقد كثر في القرآن الكريم الأمر ببرِّ الفُقراء والمساكين، وإيتائهم حقَّهم، كما في الآيات السَّابقة. كما كثر مدح الذين يُؤتونهم حقَّهم، وذمُّ مانعيهم، قال تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» (الإنسان: ٥-٨)، وَقال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ» (المدثر: ٣٨-٤٤).

حقُّ ابن السَّبيل:

وَابْنُ السَّبيل هُوَ المُسَافرُ، سُمِّي كذلك لملازمته للطريق مُلازمة الابن لأبيه، فإذا نَزَل بقوم وقد نَفَد ما معه فله عليهم أن يُعْطوه من المال ما يَرُدُّه إلى أهله، لا فَرْق بين أن يكون ذا مال في بلده أم لا.

الحث على الإخلاص لله عز وجل:

ثُمَّ بيَّنَ الله تعالى ما للمُنفقين فقال: «ذلك خيرٌ للَّذين يُريدون وَجْه الله»، فالصَّدقة بابٌ من أبواب الخيْر، ولكنْ لا يُثابُ فاعلها إلا إذا ابْتغى بها وَجْه الله، كما قال تعالى: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ١١٤).

وفي الحديث: عَنْ سَعْد بْنِ أبي وقَّاص رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنك لن تُنفق نفقة تبْتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتَّى مَا تجْعَلُ في في امْرأتك) (صحيح البخاري ١٢٩٥).

وَقدْ مَدَحَ الله تعالى الذين يُنفقون أمْوالَهُم ابْتغاءَ وَجْه الله في أكْثر منْ مَوْضع: قالَ تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا» (الإنسان: ٥-١٠)، وَقال تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ» (البقرة: ٢٧٢)، وَقال تعالى: «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى» (الليل: ١٤-٢١).

فإنْ قال قائل: لم خصَّ الأقسام الثلاثة بالذكر دُونَ غيرهم، مع أنَّ الله ذكر الأصناف الثمانية في الصَّدقات؟

فنقول: أراد هاهنا بيان من يجب الإحسانُ إليه على كل من له مال، سواءٌ كان زكويًا أو لم يكن، وسواءٌ كان بعد الحول أو قبله، لأنَّ المقصود هاهنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجبُ الإحسانُ إليهم وإنْ لم يكُنْ للمُحسن مالٌ زائد، أمَّا القريبُ فتجبُ نفقتُه وإنْ كان لم تجبْ عليه زكاة.

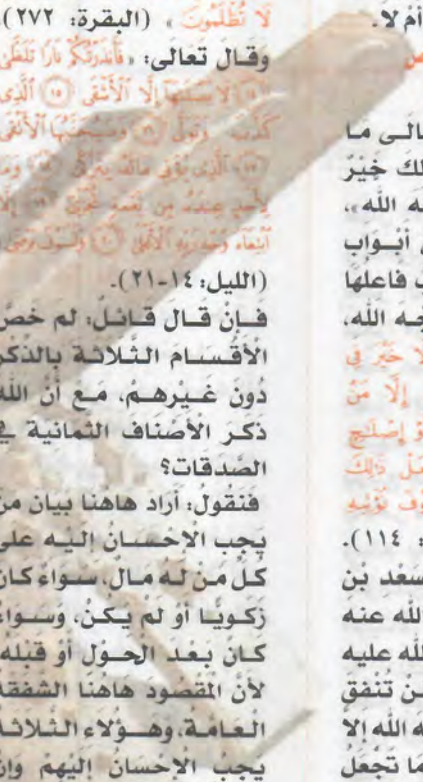

وَالْمِسْكِينُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ إِذَا بَقِيَ فِي وَرْطَةِ الْحَاجَةِ حَتَّى بَلَغَ الشِّدَّةَ يَجِبُ عَلَى مَنْ لَهُ مَقْدِرَةٌ دَفْعُ حَاجَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ زَكَاةٌ، وَكَذَلِكَ مَنِ انْقَطَعَ فِي مَفَازَةٍ وَمَعَ آخَرَ دَابَّةٌ يُمْكِنُهُ بِهَا إِيصَالُهُ إِلَى مَأْمَنٍ يَلْزَمُهُ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ زَكَاةٌ. وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْبَاقِينَ مِنَ الْأَصْنَافِ رَأَيْتَهُمْ لَا يَجِبُ صَرْفُ الْمَالِ إِلَيْهِمْ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ وَجَبَتِ الزَّكَاةُ عَلَيْهِمْ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْعَامِلِ وَالْمُكَاتَبِ وَالْمُؤَلَّفَةِ وَالْمَدْيُونِ. (التفسير الكبير (٢٥/١٢٥و١٢٦).

وقوله تعالى في جزائهم: «وأولئك هم المفلحون ٣٨» النَّاجُونَ مِمَّا يَخَافُونَ، وَالْفَائِزُونَ بِمَا يَرْجُونَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَخْوَفُ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ، وَلَا أَرْجَى لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَمَعْنَى فَلَاحِهِمْ نَجَاتُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَفَوْزُهُمْ بِالْجَنَّةِ.

التحذير من الربا:

وَلَمَّا كَانَتِ الصَّدَقَةُ عَوْنًا لِلْمُحْتَاجِ وَمُسَاعَدَةً لَهُ، وَكَانَ الرِّبَا إِرْهَاقًا لِلْمُحْتَاجِ وَاسْتِغْلَالًا لَهُ، فَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ إِذَا رَغَّبَ فِي الصَّدَقَةِ وَبَيَّنَ فَضْلَهَا حَذَّرَ مِنَ الرِّبَا وَبَيَّنَ ضَرَرَهُ، كَمَا سَبَقَ فِي الْبَقَرَةِ، أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَدِيثَ عَنِ الصَّدَقَةِ وَفَضْلِهَا، ثُمَّ حَذَّرَ مِنَ الرِّبَا وَتَوَعَّدَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة: ٢٧٤-٢٧٥)، وَكَذَلِكَ فَعَلَ هُنَا، فَلَمَّا حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَرَغَّبَ فِيهَا، حَذَّرَ مِنَ الرِّبَا، فَقَالَ تَعَالَى: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ٣٩» فَالْخِطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِضُونَ بِالرِّبَا قَبْلَ تَحْرِيمِهِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: وَمَا أَعْطَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَزِيدَ وَيَنْمُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ، فَلَا يَزْكُو وَلَا يَنْمُو عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِ، بَلْ يَمْحَقُهُ مَحْقَ مَا لَا عَاقِبَةَ لَهُ عِنْدَهُ إِلَّا الْوَبَالَ وَالنَّكَالَ. وَهَذِهِ الْآيَةُ شَبِيهَةٌ بِآيَةِ: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» (البقرة: ٢٧٦).

فضل الزكاة إذا يُبتغى بها وجه الله:

«وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ٣٩» الَّذِينَ يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَيُنَمِّي صَدَقَاتِهِمْ، وَيُبَارِكُ فِيهَا، وَيُخْلِفُ عَلَيْهِمْ خَيْرًا مِنْهَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة: ٢٦١-٢٦٢). وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ -وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ- فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ) (صحيح البخاري ١٤١٠).

وَجُمْلَةُ «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ٣٩» جَوَابُ «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» أَيْ فَمُؤْتُوهُ الْمُضْعِفُونَ، أَيْ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَصَلَ لَهُمُ الْإِضْعَافُ، وَهُوَ إِضْعَافُ الثَّوَابِ. وَضَمِيرُ الْفَصْلِ «هُمْ» لِقَصْرِ جِنْسِ الْمُضْعِفِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَهُوَ قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ لِلْمُبَالَغَةِ، لِعَدَمِ الِاعْتِدَادِ بِإِضْعَافِ مَنْ عَدَاهُمْ، لِأَنَّ إِضْعَافَ مَنْ عَدَاهُمْ إِضْعَافٌ دُنْيَوِيٌّ زَائِلٌ. وَاسْمُ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ: «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ٣٩» لِلتَّنْوِيهِ بِهَؤُلَاءِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ أَحْرِيَاءُ بِالْفَلَاحِ. (التحرير والتنوير ٢١/١٠٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

فوائد وعبر من قصة موسى والخضر عليهما السلام

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين. وبعد:

فقد تكلمنا في لقاء سابق حول حديث نبي الله موسى والخضر عليهما السلام، وتناولناه عرضا وتخريجا وشرحا على قدر الوسع ومبلغ العلم، واليوم يمن الله علينا باستكمال الحديث ذكرا لبعض فوائده واستدلالا لجملة من فرائده:

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحديث:

وفيه قول سعيد بن جبير رضي الله عنه: قُلتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَالِيَّ يَزْعُمُ أنَّ مُوسَى صَاحِبَ الخَضِرِ، ليسَ هو مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إسْرَائِيلَ، فَقالَ ابنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ! حدَّثَني أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ: أنَّه سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ؟ فَقالَ: أنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عليه؛ إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إلَيْه... فذكر الحديث.

هذا الحديث متفق عليه؛ إذ رواه البخاري في صحيحه - باب الخروج في طلب العلم - حديث رقم ٧٨، ورواه مسلم في صحيحه - بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ - حديث رقم ٤٩٤٠.

مما يستفاد من الحديث في هذه القصة:

١- الإيمان بالله تعالى، وأنه عليم، وأنه يعلم الغيب وأنه لا يعلم الغيب إلا هو، والجن والإنس لا يعلمون الغيب كما قال تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله).

٢- ركنية الإيمان بالقضاء والقدر وأن قضاء الله كله خير مهما بدا لنا في ظاهره، وعلم الله يقتضي ذلك، ومن ذلك ما كان من أمر الخضر عليه السلام؛ إذ تصرف بعلم علمه الله له، فكان الواجب الإيمان به، وأنه خير رغم أن ظاهره لنا، بل ولسيدنا موسى عليه السلام بل ولأصحاب القصص المذكورة كما في سورة الكهف كان للجميع ظاهره شر، ولما فسره الخضر عليه السلام بما علمه الله تعالى صار كل عاقل لله شاكرًا، ثم على الخضر عليه السلام شاكرًا راضيًا مترضيًا، وهذا شأن أقدار الله تعالى لو علم الإنسان الحكمة منها، لكن الله تعالى فرض على الإنسان الإيمان بالقدر خيره وشره والتسليم له؛ سواء علم الحكمة أم لم يعلم، فلا يعقل أن يجعل الله تعالى لنا في كل حادثة خضرًا يفسرها بل ولا للخضر نفسه ذلك؛ فعِلْم الخضر عليه

السلام محدود بما علمه الله كشأن باقي الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: (عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ)(الجن: ٢٧/٢٦).

لكن البعض منا بفهومنا القاصرة وعقولنا المتأخرة المتحجرة نسينا أن نسبة علمنا إلى علم الله تعالى هي نسبة صفرية كما قال رب البرية: (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢١٦).

> **مقامات الإيمان بالقضاء ثلاثة مقامات وأركانه أربعة أركان؛ فأما المقامات فهي الصبر والرضا والشكر، وأما الأركان فهي العلم والكتابة والمشيئة والخلق.**

، فجعلنا بعقولنا من مقامات الإيمان بالقضاء والقدر مقام التقييم لقدر الله تعالى، وهو سوء أدب معه سبحانه؛ إذ مقامات الإيمان بالقضاء ثلاثة مقامات وأركانه أربعة أركان؛ فأما المقامات فهي الصبر والرضا والشكر وليس منها ما أوجده الإنسان الجهول من مقام التقييم والتوجيه والتعديل.

وأما الأركان فهي العلم والكتابة والمشيئة والخلق، فلما علم سبحانه أزلاً كتب في اللوح المحفوظ قدرًا ولما شاء خلق قضاء.

وعليه فالأركان الأربع التي هي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، فمن أقر بها جميعًا كان إيمانه بالقدر كاملاً، ومن انتقص واحدًا منها فقد اختل إيمانه بالقدر.

وبيان ذلك هو:

١- الإيمان بعلم الله الأزلي السابق، وأنه أحاط بكل شيء علمًا، وعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، والله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، وعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم، وأعمالهم، وأعمارهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وعلم شقيهم وسعيدهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار قبل أن يخلقهم، وقبل أن يخلق السماوات والأرض، كما قال سبحانه: « عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ » (سبأ: ٣)، وقال: « وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢٣١)، وقال: « لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا » (الطلاق: ١٢).

إذاً ما هو الأمر الأول من الأمور الأربعة؟ هو الإيمان بعلم الله السابق.

٢- الإيمان بكتبه للمقادير، وأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: « أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ » (الحج: ٧٠)، وقال: « وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ » (النمل: ٧٥)، وقال: « وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ » (فاطر: ١١)، فنؤمن أن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ، وأن هذا الكتاب لم يفرط في شيء، يعني: كتب فيه كل شيء، وهذا يسمى أم الكتاب، ويسمى الذكر، ويسمى الإمام، ويسمى الكتاب المبين، كله اللوح المحفوظ، قال تعالى: « وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ » وقال تعالى: « وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ » (الزخرف: ٤)، وقال: « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ » (الأنبياء: ١٠٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" (مسلم:

٢٦٥٣)، وقال أيضاً: "أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر: ما كان وما هو كائن إلى الأبد" (أبو داود: ٤٧٠٢، وصححه الألباني صحيح الجامع: ٢٠١٨).

فإذاً اللوح المحفوظ هو أم الكتاب، وهو الإمام، وهو الكتاب المبين له، وهو الذكر، الدليل: « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ » (الأنبياء: ١٠٥).

٣- الإيمان بالإرادة والمشيئة، فنؤمن بأن الله تعالى لا يجري في السماوات والأرض والكون شيء إلا بمشيئته وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حركة ولا سكون في السماوات والأرض إلا بمشيئته، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا يخرج عن إرادته شيء، قال تعالى: « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ » (الإنسان: ٣٠).

وقال: « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » (يس: ٨٢)، كل واحدة من هذه لها معنى لأننا لما نقول: لا يكون في ملكه إلا ما يريد، لأن بعض المبتدعة قالوا: إنه تقع أشياء بغير إرادة الله، هؤلاء الضلال الذين قالوا: هذه الشرور كيف يريدها، فهي تقع بغير مشيئته، فأرادوا أن يتلافوا شيئًا، فوقعوا فيما هو أدهى وأمر؛ لأنهم اتهموا الله بالجهل، قالوا: يقع ما لا يعلمه، واتهموه بالعجز.

فقالوا: يقع ما لا يريده، وأهل السنة يقولون: كل ما يقع علمه، وكل ما يقع كتبه، وكل ما يقع شاءه وأراده، ولم يحدث إلا بإرادته ومشيئته، وله وراء كل شيء حكمة، ولا يشاء شيئًا حتى لو كان هزيمة أُحُد إلا وله من ورائه حكم عظيمة، وإن كانت في ظاهرها شرًا لكن من ورائها حكم عظيمة؛ حتى خلق إبليس له من ورائه حكم عظيمة، فلا يقع في العالم شيء إلا ولله فيه حكمة.

> أهل السنة يؤمنون بقضاء الله تعالى وقدره، بمراتبه الأربعة: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

٣- الإيجاد والخلق، فنؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأن كل ما سواه مخلوق، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ما يجري في العالم من خير وشر وكفر وإيمان وطاعة ومعصية قد شاءه، وقدره، وخلقه، وأوجده، قال سبحانه: « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا » (الفرقان: ٢)، وقال: « اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (الزمر: ٦٢).

فمعلوم أن أهل السنة يؤمنون بقضاء الله تعالى وقدره، بمراتبه الأربعة: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، فيؤمنون بعلم الله القديم المحيط بكل شيء، ومنه ما الخلق عاملون، وأنه سبحانه كتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، وأنه عز وجل شاء ذلك سلفًا، ومشيئته نافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال عباده.

هذا ومن أشهر من ضل في عقيدة القدر فرقة القدرية، قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية: القدرية فرقتان:

الأولى: تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالأشياء قبل وجودها، وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلا، ولم يتقدم علمه بها، وإنما يأتنفها علمًا حال وقوعها، وكانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه... قال العلماء: والمنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفرهم الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد وغيرهم من

الأئمة رضي الله عنهم...

الثانية من فرقتي القدرية: المقرون بالعلم، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: القدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبًا باطلاً أخف من المذهب الأول... قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: وأما هؤلاء - يعني الفرقة الثانية - فإنهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك، قال: وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد، كتب عنهم، وأخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم... اهـ. (ينظر كتاب: القضاء والقدر للدكتور عمر سليمان الأشقر، ورسالة القضاء والقدر للشيخ ابن عثيمين).

٤- ومما يستفاد: أن الإنسان مهما أوتي من علم أذن الله له به فإنه كما قال الله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)، وأن مهمة العلم الذي يقربه من مولاه هي وظيفة الحياة، وبيان ذلك أن نبي الله موسى عليه السلام لما علم أن الخضر عليه السلام أعلم منه تكبَّد من عناء السفر والرحلة في طلب العلم ما قد رأيت بل وإن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: "يرحمُ اللَّهُ موسَى لودَدنا أنَّهُ كانَ صبرَ حتَّى يقصَّ علينا مِن أخبارِهما".

٥- ومما يستفاد: أن الرحلة في طلب العلم من سنن المرسلين وهدي الصالحين؛ إذ فيها الخير والبركة والهداية والإيمان، وننصح بالتفضل بمراجعة الماتع من أخبار السلف في الرحلة في طلب العلم كالرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي رحمه الله ونحو ذلك.

> “ إن الله يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء مما؛ فلا مدخل للعقل في أفعاله ولا معارضة من الخلق لأحكامه بل يجب على الخلق الرضا والتسليم. ”

٦- ومما يستفاد: أن من آداب الطلب ما يكون من احترام المتعلم لمعلمه وامتثاله مهما كان قدر المتعلم من العالم وأحواله وها نحن قد رأينا نبي الله موسى عليه السلام كان في موقع المتعلم وكان في هيئة الممتثل لمعلمه وينصح في ذلك بمراجعة هذه المادة العظيمة الأهمية في مظانها كآداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي وفضل طلب العلم في مقدمة المجموع وغيرها من الكتب.

٧- وأن مصاحبة الصالحين فضل وشرف؛ حيث تكرَّر ذكر الفتى ببركة مصاحبة نبي من الأنبياء.

٨- تعليق الأفعال بالمشيئة من هدي المرسلين، وهو كما قال تعالى: « ستجدني إن شاء الله صابرًا »، « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله ».

٩ - درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وهو من فعل الخضر عليه السلام مع الغلام. لكنها ليست مطلقة فتقدير المصالح والمفاسد يرجع إلى أهل العلم الثقات.

١٠- أهمية الإيمان والعمل الصالح من الآباء في صلاح الأبناء كما قال تعالى: « فكان أبواه مؤمنين وكان أبوهما صالحًا »، إذ خير الوالدين يتعدى إلى الأولاد، ولو كان بعد موتهما.

١١- إن الله يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه بما يشاء مما؛ فلا مدخل للعقل في أفعاله ولا معارضة من الخلق لأحكامه بل يجب على الخلق الرضا والتسليم.

وفي هذا القدر الكفاية، وأستغفر الله لي ولكم.

وقفات مع كارثة زلزال تركيا وسوريا

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

نائب رئيس قضايا الدولة

الحمد لله حمدا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد. أما بعد: فقد استيقظ العالم يوم الاثنين الموافق ٦/٢/٢٠٢٣م على فاجعة وقوع زلزال مدمر ضرب العديد من المدن والقرى بدولتي تركيا وسوريا بقوة ٧.٨ على مقياس ريختر خلف آلاف القتلى والمصابين، والمشردين، والمباني المدمرة، والطرق المقطعة. وأدى إلى حالة من الحزن العميق عمت أرجاء المعمورة، وهرعت فرق الإنقاذ إلى البلدين لتساهم في محاولات إنقاذ المصابين، وانتشال الجثث من تحت الأنقاض. ولنا مع هذا الزلزال الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى:

ورود لفظ الزلزال ومرادفاته في القرآن الكريم

ورد ذكر الزلزال في القرآن الكريم، باللفظ الصريح تارة، وبما يفيد معناه تارة أخرى، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم، ومنهم الدكتور حسني حمدان الدسوقي بمقالته "الزلازل في القرآن الكريم" والمنشورة بموقع "الألوكة" بالشبكة العنكبوتية، وذلك على النحو التالي:

١- زلزلة الأرض: قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ» **(الحج: ١ - ٢)، وقال:** «إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا » (الزلزلة: ١: ٥).

٢- الرجفة: قال تعالى: « فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ » (الأعـراف: ٩١ - ٩٢)، وقال: « وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ » (الأعراف: ١٥٥)

٣- الخسف: قال تعالى: « إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ » (سبأ: ٩)، وقال: « وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ » (العنكبوت: ٤٠)، وقال: « أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ » (النحل: ٤٥)، وقال: « أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ » (الملك: ١٦).

٤- الصدع: قال تعالى: « لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » (الحشر: ٢١)، وقال: « وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ » (الطارق: ١٢).

٥- الرَجة: قال تعالى: « إذا رجت الأرض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً » (الواقعة: ٤ - ٦).

٦- المد: قال تعالى: « وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ » (الانشقاق: ٣ - ٤).

٧- التفجير: قال تعالى: « وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ » (الانفطار: ٣ - ٤).

٨- التشقق: قال تعالى: « يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا ذلك حشر علينا يسير » (ق: ٤٤).

٩- الدك: قال تعالى: « وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) (الحاقة: ١٤).

الوقفة الثانية: أسباب حدوث الزلازل:

هل الزلازل ظواهر كونية أم عقوبات إلهية؟

للزلازل أسباب مادية علمية، إلا أن لها أسبابًا شرعية ترجع إليها؛ فكل ما يحدث في الوجود من الزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعا من الأذى، كله بأسباب البعد عن الله والوقوع في المعاصي، كما قال الله عز وجل: « وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ » (الشورى: ٣٠)، وقال تعالى: « مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ » (النساء: ٧٩)، وقال تعالى عن الأمم الماضية: « فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (العنكبوت: ٤٠)

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: « إنما تزلزل الأرض إذا عمل فيها المعاصي، فترعد فرقًا من الرب جل جلاله أن يطلع عليها » اهـ.

وتأبى بعض النفوس غير السوية من العلمانيين، وأضرابهم أن تتخذ هذه الزلازل آية وعبرة، وعظة ومذكر، فينسبون هذه الزلازل إلى الظواهر الطبيعية، وينفون أي علاقة لها بأفعال الناس ومعاصيهم، ويثيرون بعض الشبهات ليؤكدوا بها معتقدهم الفاسد، ومنها:

أولا: شبهة: (إن العقاب الدنيوي بهذه الصورة الانتقامية يتنافى مع ابسط قواعد الفهم الديني، والرحمة الإلهية)

ويرد عليها: بأن لله عز وجل سننا كونية، ومنها سنة الانتقام من أعدائه، قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ » (آل عمران ٤) وقال: « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ » (السجدة ٢٢) وقال حاكيًا عن فرعون وقومه: « فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ » (الزخرف ٥٥).

وهذه السُنة ماضية فيمن عصاة، وانتهك حرماته، والقرآن الكريم يوضح هذه

الحقيقة في العديد من قصص القرآن، فقد أغرق الله قوم نوح لما كذبوه، قال تعالى: « فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ » (الأعراف ٦٤).

ودمر عادا قوم هود فقال: « فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ » (الأحقاف ٢٤/٢٥).

ودمر ثمود قوم صالح فقال « وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ » (فصلت ١٧/١٨).

ودمر قوم لوط فقال: « قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ » (هود ٨١/٨٣).

ودمر مدين قوم شعيب فقال: « وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ » (هود ٩٤/٩٥).

ودمر أصحاب الرس فقال: « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ » (ق ١٢/١٤)، ودمر قوم يس فقال: « وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ » (يس ٢٨/٢٩).

فكل هؤلاء الظالمين كذَّبوا رسل الله، وعصوهم، فانتقم الله منهم، وانتقامه ممن عصاة قمة العدل الإلهي، ولا محاباة في دين الله، فهذا الانتقام يشمل الكافر، والمؤمن العاصي، بل ويشمل الصالحين، إن لم يردعوا العصاة، ويأخذوا على أيديهم، لقوله تعالى: « وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ » (الأنفال ٢٥) قال العلامة السعدي في تفسيره: « (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن . « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ » من تعرَض لمساخطه، وجانب رضاه » اهـ.

فإذا هلك الجميع بعثوا يوم القيامة على نياتهم، قال تعالى: « أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ (١٨) أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ » (السجدة ١٨/٢٠)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: « إذا أنزل الله بقوم عذابًا، أصاب العذابُ من كان فيهم، ثم بُعثُوا على أعمالهم » (متفق عليه)، ولقوله لعائشة « يغزو جيشٌ الكعبةَ، فإذا كانوا ببيداءَ من الأرض يُخسفُ بأوَّلهم وآخرهم. قالت: قلت: يا رسولَ الله، كيفَ يُخسفُ بأولِهم وآخرهم، وفيهم أسواقُهم، ومن ليس منهم ؟. قال: يُخسفُ بأولهم وآخرِهم ثم يُبعثون على نيَّاتِهم » (متفق عليه)

والسؤال هنا: حينما أهلك الله الأمم السابقة التي ذكرناها في الآيات آنفة البيان، ألم يهلك الله جميع من كان فيها؟ الرجال، والنساء والشيوخ، والأطفال، ومما يؤيد ذلك، قوله تعالى « فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ » (الزخرف ٥٥) وقوله: « تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ » (الأحقاف ٢٥) وقوله: « فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا

هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ » (هود ٨٣) وقال: « وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ » (هود ٦٧)

فكل هذه الآيات تدل - بما لايدع مجالا للشك - أن الدمار لحق الجميع بمن فيهم الأطفال - وهم غير مكلفين - ولم يتساءل واحد من المفسرين، أو من عقلاء هذه الأمة، عن ذنب هؤلاء الأطفال، والجريرة التي أخذوا بها، وذلك لأنهم يسلمون قيادهم لله سبحانه، سواء علموا الحكمة من وراء ذلك - والتي قد تتمثل في أنهم لو عاشوا، لعاشوا على الكفر كآبائهم، فاراد الله بهم خيرًا في الآخرة، كما في قصة قتل الخضر للغلام وإنكار موسى عليه، ثم إطلاع الخضر لموسى على الحكمة الربانية من وراء قتله « وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا » (الكهف ٨١/٨٠).

وربما تكون الحكمة تعليم من خلفهم، أن صلاح الآباء يفيد الأبناء، وفساد الآباء يلحق الأبناء، قال تعالى: « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا » (الكهف ٨٢) - أو لم يعلموها، فليس عليهم إلا الانقياد له سبحانه وتعالى، والإذعان لما قدر من غير سؤال، ولا تسخط، إذ انه « لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ » (الأنبياء ٢٣).

الوقفة الثالثة:

الحكمة من تقدير الزلازل

لا تخلو مخلوقات الله من الحكمة من خلقها، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وقد ذكر بعض أهل العلم الحكمة من تقدير الله للزلازل، ومنها ما ذكره فهد بن عبدالعزيز بن عبدالله الشويرخ في مقالته " من أقوال السلف في الزلازل " والمنشور بموقع " طريق الإسلام " وغيره من أهل العلم الآخرين:

١- الزلازل تخويف من الله عز وجل لعباده: قال الله سبحانه: « وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » (الإسراء: ٥٩)، وقال عز وجل: « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ

«حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ» (فصلت: ٥٣)، وقال تعالى: «قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ» (الأنعام: ٦٥).

٢- الزلازل دلالة على قدرة الله الباهرة: حيث يأذن الله جل جلاله لهذه الأرض أن تتحرك بضع ثوان أو دقائق فينتج عن ذلك هذا الدمار العظيم، وهذا الهلاك الفاجع، فيثوب العباد إلى رشدهم، ويتوبون إلى ربهم، ويقدرونه حق قدره، فلا يغترون بقوتهم، ولا قدرتهم الضعيفة

٣- الزلازل اختبار للعباد: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يختبر عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب الزلازل عتاب من الله جل جلاله لعباده» اهـ.

الوقفة الرابعة:

الواجب على جميع المكلفين من المسلمين وغيرهم عند حدوث الزلازل

يجب على الناس حال حدوث الزلازل أمور؛ منها:

١- التوبة إلى الله سبحانه، والاستقامة على دينه: والحذر من كل ما نهى عنه من الشرك والبدع، والمعاصي، حتى يعافيهم الله في الدنيا والآخرة من جميع الشرور، و يدفع عنهم كل بلاء، ويمنحهم كل خير كما قال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)، وليس هذا قاصرا على المسلمين فقط، بل يشمل جميع الناس، أهل الكتاب، وغيرهم من الكفار والمشركين، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) وقال: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ).

٢- التضرع إلى الله عند حدوث الزلازل: قال تعالى: «فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» (الأنعام: ٤٣).

٣- رحمة الفقراء والمساكين والصدقة عليهم: لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ارحموا ترحموا» «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يرحم».

٤- تكاتف دول العالم لمواجهة آثار الزلازل: وهذا ما نشاهده مرارًا وتكرارًا أن أغلب دول العالم تنحي خلافاتها جانبًا عند وقوع الكوارث، وتتعاون فيما بينها على مواجهتها، والحد من آثارها، فترسل فرق الإنقاذ لمساعدة الدول المنكوبة، حتى تتعافى مما ألم بها.

وهنا يظهر المعدن الحقيقي للنفس البشرية، وتطفو على الساحة فطرة الله التي خلق الناس عليها، قبل أن يغيرها ويبدلها الشيطان اللعين، فعن عياض بن حمار رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «وإنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وإنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنْزِلْ به سُلْطَانًا» (رواه مسلم)

وبعد فهذا جهد المقل أحببت أن أضعه بين يدى إخواني لأخذ العبرة، ولنتعظ بما حل بغيرنا، ونبادر بالتوبة والعودة إلى الله سبحانه وتعالى، ونحمد الله أن مد في أعمارنا في طاعته، وليعلم كل منا أن ما به من بلاء أهون مما حل بهؤلاء من بلاء فقد الأحباب، والمأوى.

فنسأل الله أن يخفف عنهم، وأن يجبر كسرهم، ويشفى مصابهم، ويرحم موتاهم.

والله المستعان، وعليه التكلان.

الثمرات المباركة لصلة الأرحام

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلهِ، وأصحابِه، والتابعينَ لهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد: فإن لصلة الأرحام منزلة سامية في الإسلام ولها ثمرات وفضائل كثيرة تعود على أصحابها.. أقول حول هذا الموضوع وبالله تعالى التوفيق:

إعداد **الشيخ/صلاح نجيب الدق**

الرَّحِمُ في اللغة:

الرَّحِمُ: مَوضِع تكوين الجنين ووعاؤه في البَطن. (المعجم الوسيط ص٣٣٥).

الرَّحِمُ: اسمٌ مشتقٌ من مادَّة (ر ح م) الَّتي تَدُلُّ على الرِّقَّةِ والعَطفِ والرَّأفةِ. والرَّحِمُ: عَلاقَةُ القَرابَةِ، ثُمَّ سُمِّيَتْ رَحِمُ الأُنْثى رَحِمًا مِنْ هَذا، لأَنَّ مِنْهَا مَا يَكُونُ مَا يُرْحَمُ وَيُرَقُّ لَهُ مِنْ وَلَد. وَ(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) اسْمانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ. (مقاييس اللغة لابن فارس ج٢ص٤٩٨).

تعريف صلة الأرحام:

قَالَ الإمامُ النووي (رحمه الله): صلةُ الرَّحِم: هِيَ الإحْسَانُ إِلَى الأَقَارِب عَلَى حَسَب حَالِ الوَاصِلِ وَالمَوْصُولِ فَتَارَةً تَكُونُ بِالمَالِ وَتَارَةً بِالخِدْمَةِ وَتَارَةً بِالزِّيَارَةِ وَالسَّلامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. (مسلم بشرح النووي ج٢ص٢٠١).

حدُّ الرحم:

الرَّحِمُ الَّتي تُوصَل: هِي كُلُّ رَحِمٍ مِنْ ذَوِي الأرْحَامِ في المِيراث، يَسْتَوِي المَحْرَمُ وَغَيْرُهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ). (مسلم بشرح النووي ج٨ص٣٥٦).

صلة الأرحام وصية رب العالمين:

قال سبحانه: (يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ) (البقرة:٢١٥)، وقال جل شأنه: (وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ) (الأنفال:٧٥)، وقال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل:٩٠)، وقال سبحانه:(فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (الروم:٣٨).

حكم صلة الأرحام:

قَالَ القَاضي عيَاضُ: لاَ خلاَفَ أَنَّ صلةَ الرَّحم وَاجِبَةٌ فِي الجُمْلَة، وَقَطيعَتَهَا مَعْصيَةٌ كَبيرَةٌ، وَالأَحَاديثُ تَشْهَدُ لهَذَا، وَلَكنَّ الصِّلَةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ منْ بَعْضٍ وَأَدْنَاهَا تَرْكُ المُهَاجَرَة وَصلَتُهَا بالكَلاَم وَلَوْ بالسَّلاَم، وَيَخْتَلفُ ذَلكَ باخْتلاَف القُدرة والحاجَة، فمنها واجب ومنها مستحب لو وصل بعض الصلة ولم يَصل غَايَتَهَا لاَ يُسَمَّى قَاطعًا وَلَوْ قَصَّرَ عَمَّا يَقْدرُ عَلَيْه وَيَنْبَغِي لَهُ لاَ يُسَمَّى وَاصلاً. (صحيح مسلم بشرح النووي ج٨ص٣٥٦).

صلة الأرحام من ثمرات الإيمان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمنُ باللَّه وَاليَوْم الآخر فَلْيَصلْ رَحمَهُ. (البخاري حديث: ٦١٣٨).

صلة الأرحام طريق الجنة:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رَضيَ اللَّه عَنْهُ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أَخْبِرْنِي بعَمَلٍ يُدْخلُني الجَنَّةَ. قَالَ: تَعْبُدُ اللَّه وَلاَ تُشْركُ بِه شَيْئًا، وَتُقيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتي الزَّكَاةَ، وَتَصلُ الرَّحمَ. (البخاري حديث: ١٣٩٦/مسلم حديث:١٣).

عَنْ عَبْد اللَّه بْنُ سَلاَم، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعمُوا الطَّعَامَ، وَصلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْل، وَالنَّاسُ نيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بسَلاَم. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث:٢٦٣٠).

صلة الأرحام بركة في الأرزاق والأعمار:

عَنْ أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رزْقه، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَره، فَلْيَصلْ رَحمَهُ» (البخاري حديث: ٢٠٦٧، ومسلم حديث:٢٥٥٧).

قال الإمَامُ النووي رحمه الله: قولُهُ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رزْقه وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَره فَلْيَصلْ رَحمَهُ) أي: يُؤَخَّرُ، وَالأَثَرُ: الأَجَلُ لأَنَّهُ تَابعٌ للحَيَاة فِي أَثَرهَا، وَبَسْطُ الرِّزْق تَوْسيعُهُ وَكَثْرَتُهُ، وَقيلَ البَرَكَةُ فيه، وَأَمَّا التَّأْخيرُ فِي الأَجَل فَفيه سُؤَالٌ مَشْهُورٌ وَهُوَ أَنَّ الآجَالَ وَالأَرْزَاقَ مُقَدَّرَةٌ لاَ تَزيدُ وَلاَ تَنْقُصُ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخرُونَ سَاعَةً ولا يستقدمون وَأَجَابَ العُلَمَاءُ بأَجْوبَة الصَّحيحُ منْهَا: أَنَّ هَذه الزِّيَادَةَ بالبَرَكَة فِي عُمْره وَالتَّوْفيق للطَّاعَات وَعمَارَة أَوْقَاته بمَا يَنْفَعُهُ فِي الآخرَة وَصيَانَتهَا عَن الضَّيَاع فِي غَيْر ذَلكَ.

وَالثَّاني: أَنَّهُ بالنِّسْبَة إلَى مَا يَظْهَرُ للمَلاَئكَة وَفِي اللَّوْح المَحْفُوظ وَنَحْو ذَلكَ فَيَظْهَرُ لَهُمْ فِي اللَّوْح أَنَّ عُمْرَهُ ستُّونَ سَنَةً إلاَّ أَنْ يَصلَ رَحمَهُ فَإِنْ وَصَلَهَا زيدَ لَهُ أَرْبَعُونَ وَقَدْ علمَ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا سَيَقَعُ لَهُ منْ ذَلكَ وَهُوَ منْ مَعْنَى قَوْله تَعَالَى يَمْحُو اللَّه ما يشاء ويثبت فيه النسبة إلى علم الله تَعَالَى وَمَا سَبَقَ به قدره ولا زيَادَةَ بَلْ هيَ مُسْتَحيلَةٌ وَبالنِّسْبَة إلَى مَا ظَهَرَ للمَخْلُوقينَ تُتَصَوَّرُ الزِّيَادَةُ وَهُوَ مُرَادُ الحديث.

وَالثَّالثُ: أَنَّ المُرَادَ بَقَاءُ ذكْره الجَميل بَعْدَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ. (مسلم بشرح النووي ج٨ص٣٥٦:٣٥٧).

صلة الأرحام تمحو السيئات:

عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظيمًا فَهَلْ لي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ منْ أُمٍّ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «هَلْ لَكَ منْ خَالَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَبِرَّهَا». (صحيح الترمذي للألباني حديث:١٥٥٤).

الصدقة على ذوي الأرحام مضاعفة:

عنْ أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنَّ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: (لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران: ٩٢) وَإنَّ أَحَبَّ أَمْوَالي إلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للَّه، أَرْجُو برَّهَا وَذُخْرَهَا عنْدَ اللَّه، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّه حَيْثُ أَرَاكَ اللَّه، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «بَخٍ، ذَلكَ مَالٌ رَابحٌ، ذَلكَ مَالٌ رَابحٌ، وَقَدْ سَمعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّه، فَقَسَمَهَا أَبُو

طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِه وَبَنِي عَمِّه. (البخاري حديث: ١٤٦١، ومسلم حديث: ٩٩٨).

روى النسائيُّ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّٰه عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» (صحيح النسائي للألباني ج٢ص٢٢٣).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ، الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكَاشِحِ (القاطع لرحمه). (صحيح الجامع للألباني حديث ١١١٠).

الواصل الحقيقي للأرحام:

عَنْ عَبْدِ اللّٰه بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّٰه عليه وسلم، قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» (البخاري حديث: ٥٩٩١)

قَوْلُهُ: (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ)؛ أَيِ الَّذِي يُعْطِي لِغَيْرِه نَظِيرَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ الغَيْرُ.

قَالَ الطِّيبِيُّ: لَيْسَتْ حَقِيقَةُ الوَاصِلِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِصِلَتِه مَنْ يُكَافِئُ صَاحِبَهُ بِمِثْلِ فِعْلِه وَلَكِنَّهُ مَنْ يَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِه.

وعَنْ عُمَرَ بن الخطاب رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ، قَالَ: لَيْسَ الوَصْلُ أَنْ تَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ذَلِكَ القِصَاصُ وَلَكِنَّ الوَصْلَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ. (فتح الباري. ج١٠ص٤٢٣).

وسائل صلة الأرحام:

قَالَ القُرْطُبِيُّ: الرَّحِمُ الَّتِي تُوصَلُ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ. فَالعَامَّةُ رَحِمُ الدِّينِ وَتَجِبُ مُوَاصَلَتُهَا بِالتَّوَادُدِ وَالتَّنَاصُحِ وَالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ وَالقِيَامِ بِالحُقُوقِ الوَاجِبَةِ وَالمُسْتَحَبَّةِ. وَأَمَّا الرَّحِمُ الخَاصَّةُ فَتَزِيدُ لِلنَّفَقَةِ عَلَى القَرِيبِ وَتَفَقُّدِ أَحْوَالِهِمْ وَالتَّغَافُلِ عَنْ زَلَّاتِهِمْ وَتَتَفَاوَتُ مَرَاتِبُ اسْتِحْقَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ كَمَا فِي الحَدِيثِ الأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ الأَدَبِ الأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ. (فتح الباري- ج١٠ص٤٣٣)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: تَكُونُ صِلَةُ الرَّحِمِ بِالمَالِ، وَبِالعَوْنِ عَلَى الحَاجَةِ، وَبِدَفْعِ الضَّرَرِ، وَبِطَلَاقَةِ الوَجْهِ وَبِالدُّعَاءِ. (فتح الباري. ج١٠ص٤٣٣).

صلة الأرحام غير المسلمين:

ينبغي على المسلم أن يصلَ قرابته، غير المسلمين تأليفاً لقلوبهم ليدخلوا في الإسلام.

قَالَ اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (لقمان:١٥)؛ قال الإمام القرطبي: الآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى صِلَةِ الأَبَوَيْنِ الكَافِرَيْنِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ المَالِ إِنْ كَانَا فَقِيرَيْنِ، وَإِلَانَةِ القَوْلِ وَالدُّعَاءِ إِلَى الإِسْلَامِ بِرِفْقٍ. (تفسير القرطبي ج١٤ ص٦٦).

وقال تعالى: (وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (الممتحنة:٨).

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ. (البخاري حديث ٢٦٢٠، ومسلم حديث ١٠٠٣).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني (رحمه اللّٰه): وهي رَاغِبَة: أي طَالِبَةً فِي بِرِّ ابْنَتِهَا لَهَا خَائِفَةً مِنْ رَدِّهَا إِيَّاهَا خَائِبَةً. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٥ ص٢٧٧).

أقوال السلف في صلة الأرحام:

(١) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰه عَنْهُ قَالَ: تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَاللّٰه إِنَّهُ لَيَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ الشَّيْءُ، وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ، لَأَوْزَعَهُ (كفاه) ذَلِكَ عَنِ انْتِهَاكِه. (صحيح الأدب المفرد للألباني ص٥٦).

(٢) عن ابن عباس رَضيَ اللهُ عنهُما، قالَ: كلُّ رَحم آتيةٌ يوْمَ القيامَة أمامَ صاحبها تَشهدُ لَهُ بصلة، إنْ كانَ وَصلَها، وَعليْه بقطيعة إنْ كانَ قطعَها. (صحيح الأدب المفرد للألباني ص٥٦).

(٣) عَن ابْن عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنهُما، قَالَ: مَن اتَّقى ربَّهُ، ووَصلَ رحمَهُ، أُنسئَ لَهُ في عُمره، وَثـرَى مالُهُ، وأحبَّـهُ أهلُهُ. (صحيح الأدب المفرد للألباني ص٥١).

(٤) قال سعيدُ بْنُ المُسيِّب: لا خيْرَ فيمنْ لا يجْمعُ المَال فيَقْضي دَيْنَهُ ويَصلُ رَحمَهُ ويَكُفُّ به وَجْهَهُ. (الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي ج٣ص٢٦٩).

(٥) قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مهْرانَ: قالَ لي عُمَرُ بْنُ عَبْد العَزيز: لا تُصاحبْ قاطعَ رَحم (مساوئ الأخلاق للخرائطي ص٣١٥).

(٦) قالَ عَمْرو بْن دينار: ما منْ خُطوة بَعْدَ الفَريضَة أعْظَمُ أجـرًا منْ خُطوة إلـى ذي رَحـم. (مكـارم الأخـلاق لابـن أبـي الدنيا ص٨٢)

(٧) قَالَ الطِّيبيُّ: إنَّ اللهَ يُبْقي أثَـرَ وَاصل الرَّحم في الدُّنْيَا طويلاً فلا يَضْمَحلُّ سَريعًا كَمَا يَضْمَحلُّ أثَرُ قَاطع الرَّحم. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١٠ص٤١٦).

أسباب قطيعة الأرحام:

لقطيعة الأرحـام أسباب كثيرة، يُمكن أن نوجزها فيما يلي:

أولاً: الحسد:

الحاسد يتمنى زوال النعمة عن أقاربه، فلا يرضى لأحد من أقاربه أن يكون في نعمة، سواء كانت هذه النعمة في المال، أو الأولاد، أو الصحة، أو في العلم، أو غير ذلك.

قال الإمامُ الغزالي: يحسد الرجلُ أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته. (إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص١٩٤).

ثانياً: الكبر:

الكبرُ من أسباب قطيعة الأرحام.فالإنسانُ الغني قد يتكبر بماله على أقاربه الفقراء، وكذلك صاحب المنصب، قد يتكبر على أقاربه الذين هم أقل منزلة منه. والكبْرُ هو الذي منع أهل مكة من الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم على الرغم من صلة القرابة التي تربطهم به. قال الله تعالى عن أهل مكة: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف:٣١).

عقوبة قاطع الرحم:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إذَا فَرَغَ منْ خَلْقه، قَالَت الرَّحمُ: هَذَا مَقَامُ العَائذ (المُسْتَجير) بكَ منَ القَطيعَة، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصلَ مَنْ وَصَلَك، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَك قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: فَاقْرَءُوا إنْ شئْتُمْ: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسدُوا في الأَرْض وَتُقَطّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (محـمـد: ٢٢) (البـخـاري حـديـث:٥٩٨٧، ومسلم حديث:٢٥٥٤).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله إنَّ لي قَرَابَةً أَصلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسنُ إلَيْهمْ وَيُسيئُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسفُّهُمُ المَلَّ (الرَّمادَ الحارَّ) وَلَا يَزَالُ مَعَكَ منَ الله ظَهيرٌ عَلَيْهمْ (المُعينُ والدَّافعُ لأذَاهُم) مَا دُمْتَ عَلَى ذَلكَ» (مسلم حديث: ٢٥٥٨).

وعَنْ جُبَيْر بْن مُطْعم، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، قَـالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطعُ رَحمٍ» (مسلم حديث: ٢٥٥٦).

وعَنْ أَبـي بَكْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَا منْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجّلَ اللهُ تَعَالَى لصَاحبه العُقُوبَةَ في الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخرُ لَهُ في الآخـرَة مثْلُ البَغْي وَقَطيعَة الرَّحم. (صحيح أبي داود للألباني حديث٤٠٩٨).

وآخرُ دَعْوانا أن الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين.

وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعداد د/ سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: ففي أثناء الرجوع من بدر إلى المدينة وقع حدث مهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ألا وهو "وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ وهذا الحدث، ولو لم يكن عريض الذيل في عرضه إلا أنه عظيم جليل في فوائده؛ لأنه يمس البيت النبوي مباشرة من جهة، ومن جهة يمس اعتقادنا في الصحابة بالنسبة لعثمان رضي الله عنه، ويمس اعتقادنا من جهة حرمة الخروج على ولاة الأمر بالنسبة لعثمان والخوارج؛ حيث كان من مسوغاتهم في الخروج عليه، وقتله: عدم شهوده بدرًا.

أولاً: ذكر الحدث:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنَّمَا تَغَيَّبَ عُثْمَانُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ" صحيح البخاري (٣١٣٠).

وكلف معه بهذا المهمة أسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ " فَوَافَقَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ابْنَهُ أُسَامَةَ حِينَ سَوَّى التُّرَابَ عَلَى رُقَيَةَ". الكبرى للبيهقي (٢٩٣/٩)، الكبير للطبراني (١٠٥٨)، والمستدرك (٥٠٢٣)؛ قال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

وفيه مسائل:

الأولى: هي رقيَة بنت سيد البشر صلى الله عليه وسلم: الهاشمية؛ وُلدَت قبل البعثة بسبع سنين، وقال أبو عمر: لا أعرف خلافا أنَ زينب أكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في رقية وفاطمة وأم كلثوم، والأكثر أنهنَ على هذا الترتيب.

وتزوجها عتبة بن أبي لهب قبل النبوة، فلما بعث قال أبو لهب: رأسي من رأسك حرام إن لم تطلق ابنته؛ ففارقها ولم يكن دخل بها؛ فتزوجها عثمان؛ فولدت له ولدًا؛ فسماه عبد اللَّه.

وَكَانَ عُمْرُ رُقَيَّةَ لَمَّا مَاتَت عشرين سنة. الإصابة (١٣٨/٨)، وأسد الغابة (٢٨٥/٥)، وفتح الباري (٥٩/٧).

وهكذا يبتلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفقد ابنته؛ فيصبر ويحتسب، وكما أخبر صلى الله عليه وسلم أن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل. ولنا فيه الأسوة الحسنة. وفيه: سُنة الأخذ بالأسباب.

الثانية: رد شبهة الخوارج عن عثمان؛ حيث سوغوا الخروج عليه بأمور منها "أنه لم يشهد بدرا"

وذلك من وجوه:

الأول: أن تخلف عثمان رضي الله عنه كان بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك أسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعده أجر من شهد بدرا؛ فهو وإن لم يشهد بدرا، ولكنه كمن شهدها؛ وعلم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم؛ واستمر الأمر على ذلك، حتى انفجر خبَثُ الفتنة، وبدأ الخارجون على عثمان رضي الله عنه يتلمسون ما يظهرون للناس أنهم سوغوا به الخروج عليه؛ فعابوه بعدم شهوده بدرا، ولكن أهل البصيرة يعلمون: أن عدم شهوده رضي الله عنه هذه الغزوة إنما كان بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن شهد بدرًا لم يحصّل ذاك الأجر العظيم إلا لامتثاله أمره صلى الله عليه وسلم؛ فالمتخلف بأمره والشاهد بأمره سواء بسواء، وبناء على ذلك ذكره الزهري، وابن إسحاق، وغيرهما فيمن شهد بدرا.

وهذا ما دافع به عبد الله بن عمر عن عثمان رضي الله عنه أمام من يردد الطعن دون فهم ولا وعي؛ فعن عثمان بن مَوْهَبٍ، قالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرأَى قوْمًا جُلوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاءِ القَوْمُ؟ فَقالُوا هَؤُلاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قالُوا: عَبْدُ اللَّه بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُد؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَة الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُد، فَأَشْهَدُ: أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ"، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِيَدِهِ اليُمْنَى: "هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ". فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: "هَذِهِ لِعُثْمَانَ"، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ. صحيح البخاري (٣٦٩٨و٤٠٦٦).

قوله: "اذهب بها الآن معك"، أي: اقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان، رضي الله تعالى عنه. عمدة القاري (٢٠٧/١٦).

فهذا بيان ابن عمر رضي الله عنهما قطع قول كل خارجي مارق كما قطعت جهيزة قول كل خطيب؛ بين: أنه لم يتخلف إلا طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن مما يكشف زيف استساغتهم الخروج عليه، بعدم شهوده بدرًا، عدم عيبهم لسائر المتخلفين عنها الذين لم يتهيأ لهم الخروج إليها، مع أن عذره أقوى من عذرهم؛ مما يؤكد أنهم يتصيدون ما يمهدون به للخروج على الخليفة؛ فحسب...

الثالث: أن النفير لم يكن عامًا، وبسبب ذلك تخلف عن بدر كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ممن كانوا في العوالي، وممن لم يحضروا ساعة الاستعداد للرحيل، لشدة استعجال النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعدم حضور بدر ليس بعيب في آحاد الصحابة رضوان الله عليهم الذين لم يأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج؛ فكيف يكون عيباً فيمن قعد لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرابع: لو كان عثمان رضي الله عنه آثما؛ لتخلفه عن غزوة بدر؛ لعاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك؟ فهل هؤلاء الطاعنون فيه أعرف بدين الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

الخامس: أن المتجرد من الهوى يأخذ من عدم شهوده بدرا فضلًا ومزيّة له على من شهدها، وذلك: أنه حصل على الأجر الدنيوي والأخروي الذي حصلوا عليه، وزاد تمريض رقية وشهود جنازتها وهو من أفضل القربات. فتنة مقتل عثمان (٧٣/١)، والإمامة والرد على الرافضة (٣٠١).

الثالثة: ذكر من تخلف لعذر غير عثمان رضي الله عنه

- طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وسَعِيدُ بنُ زَيْدِ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا؛ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَتَحَسَّسَانِ خَبَرَ العِيرِ، فقدما؛ فلقياهُ مُنْصَرِفًا مِنْ بَدْرٍ؛ فَلَمْ يَشْهَدَا الْوَقْعَةَ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ بِسُهْمَانِهِمَا وَأُجُورِهِمَا في بَدْرٍ. الطبقات الكبرى (٣/٣٨٣)، والمستدرك (٥٥٨٦).

- أَبُو لُبَابَةَ بنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الأَنْصَارِيُّ: رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الرَّوْحَاءِ، واسْتَخْلَفَهُ عَلَى المَدِينَةِ. وقد وصف في الصحيح بأنه "بدري". البخاري (٤٠١٦).

- أَبُو أَمَامَةَ بنُ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيُّ: أَجْمَعَ عَلَى الخُرُوجِ ثم جلس ليمرِّض أمه بأمر رسول الله. أسد الغابة (٤/٣٧٥).

- عَاصِمُ بنُ عَدِيٍّ العَجْلانِيُّ: خَلَّفَهُ عَلَى قُبَاءَ وَأَهْلِ العَالِيَةِ "فَضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ فَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَهَا" المستدرك (٥٨٢٥).

- الحَارِثُ بنُ الصِّمَّةِ: وَقَعَ فَكُسِرَ بِالرَّوْحَاءِ، فَرَدَّهُ إِلَى المَدِينَةِ. الطبقات الكبرى (١/٢٥٤).

- خَوَّاتُ بنُ جُبَيْرٍ: لَمَّا بَلَغَ الصَّفْرَاءَ أَصَابَ سَاقَهُ حَجَرٌ؛ فَكُسِرَ، فَرَجَعَ. الاستيعاب (٢/٣٨).

- حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ -رضي الله عنه-: كان قد عاهد المشركين ألا يقاتلهم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ". صحيح مسلم (١٧٨٧).

ومن هذا القبيل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ قَالَ "كُنْتُ أَمِيحُ المَاءَ لأَصْحَابِي يَوْمَ بَدْرٍ. سنن أبي داود (٢٧٣١). المائح هو الذي ينزل إلى أسفل البئر فيملأ الدلو ويرفعها إلى الماتح وهو الذي ينزع الدلو. معالم السنن (٢/٣٠٧). وعنه أنه قال: "لم أشهد بدرا" مسلم (١٨١٣)

مَنْ حَضَرَ وَلَمْ يقاتل:

- أَنَسٌ -رضي الله عنه-: عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ: قِيلَ لأَنَسٍ: اشَهِدْتَ بَدْرًا؟ قَالَ: وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْ بَدْرٍ لا أُمَّ لَكَ" المستدرك (٦٤٤٦) قال ابن حجر: عند أحمد بسند صحيح.

قَالَ الحَافِظُ: خَدَمَ الرَّسُولَ -صلى الله عليه وسلم- عَشْرَ سِنِينَ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي: أَنَّ ابْتِدَاءَ خِدْمَتِهِ لَهُ حِينَ قُدُومِهِ المَدِينَةَ، فَكَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى بَدْرٍ، أَوْ مَعَ زَوْجِ أُمِّهِ أَبِي طَلْحَةَ، وإنما لم يذكروه في البدريين، لأنه لم يكن في سن من يقاتل. الإصابة (١/٢٧٦).

- حَارِثَةُ بنُ سُرَاقَةَ -رضي الله عنه- جَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَّارًا، وَكَانَ غُلامًا، فَجَاءَ سَهْمٌ غَرْبٌ فَوَقَعَ فِي ثُغْرَةِ نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ. وَذَكَرَهُ البُخَارِيُّ فيمن شَهِدَ بَدْرًا.

- سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ -رضي الله عنه-: قَالَ الحَافِظُ: لَمْ يَشْهَدْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -رضي الله عنه- بَدْرًا، وَإِنْ كَانَ يُعَدُّ فِيهِمْ؛ لِكَوْنِهِ مِمَّنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ، وقد ذَكَرَ البُخَارِيُّ، وغيره: أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا.

وهو الراجح؛ لما ثبت في صحيح مسلم أنه كان فيمن اسْتَشَارَهم الرَّسُولُ -صلى الله عليه وسلم- في شأن القتال في بدر. فتح الباري (٧/٢٩٢)، عمدة القاري (١٧/٨٢)، واللؤلؤ المكنون (٢/٣٣٥-٣٤٣).

وقال ابن حجر في ذكر الخلاف في عدد من شهد بدرا: وإذا تحرر هذا الجمع؛ فليعلم: أن الذي شهد القتال منهم ثلاثمائة وخمسة أو ستة... ثم قال: وجه الجمع بأن ثمانية أنفس عُدُّوا في أهل بدر ولم يشهدوها وإنما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم؛ لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان تخلف عن زوجته رقية، وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش فهؤلاء من المهاجرين وأبو لبابة، استخلفه على المدينة، وعاصم بن عدي استخلفه على أهل العالية والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف والحارث بن الصمة وقع؛ فكسر بالروحاء فرده إلى المدينة، وخوات بن جبير كذلك هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد وذكر غيره سعد بن مالك الساعدي والد سهل مات في الطريق، وممن اختلف فيه هل شهدها، أورد لحاجة سعد بن عبادة وقع ذكره في مسلم، وصبيح مولى أحيحة رجع لمرضه فيما قيل، وقيل: إن جعفر بن أبي طالب ممن ضرب له بسهم نقله الحاكم. فتح الباري (٧/٢٩٢).

ونكتفي بهذا القدر، والحمد لله رب العالمين.

تنبيه الأنام بأحكام وآداب تتعلق بشهر شعبان

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، وآله وصحبه ومن اقتفى، وبعد: فشهر شعبان هو الشهر الثامن من الأشهر القمرية يقع بين رجب وهو شهر حرام، وشهر رمضان، وسُمِّي هذا الشهر بشعبان لتشعُّب القبائل العربية فيه وتفرُّقها لقصد الملوك والتماس العطية، ويجمع على: شعابين، وشعبانات. [العلم المنشور في إثبات الشهور، للتقي السبكي (ص ١٨٩).

وهو شهر قد شهد كثيرًا من التشريعات فمن هذه التشريعات:

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

١- تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام، ونزول قول الله تعالى: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ». (البقرة: ١٤٤).

فقد كان المسلمون قبل ذلك يستقبلون بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة؛ فنزل تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام في شعبان في العام الثاني من الهجرة.

٢ - في شهر شعبان من العام الثاني لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقع أول نَسْخ في الشرائع بنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال بيت الله الحرام في الصلاة.

٣ - فرض الصيام في شعبان من العام الثاني للهجرة، قال النووي في المجموع (٦ / ٢٥٠): «صام رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان تسع سنين؛ لأنه فرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة».

٤ - فرض زكاة الفطر في شعبان من العام الثاني للهجرة، قال ابن كثير في الفصول في السيرة (ص: ١٢٧): «وفي شعبانٍ فرضَ صومُ رمضان، وفرضت لأجله زكاةُ الفطر قُبَيله بيوم».

فضل شهر شعبان:

١- شهر شعبان شهر ترفع فيه أعمال العام إلى الله سبحانه وتعالى، لحديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان؟

قال: ذلك شهر يَغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم» [أخرجه النسائي (٢٣٥٧).

٢ - فيه ليلة النصف من شعبان، وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث لا تخلو من مقال فمن أمثلتها: حديث: «إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن».

وقد جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي موسى

الأشعري، ومعاذ بن جبل، وعوف بن مالك، وكثير بن مرة الحضرمي - رضي الله عنهم .. وقد صحّح الشيخ الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة (١١٤٤) بمجموع طرقه. وقد قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص ١٣٦): «وفي فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة، وقد اختلف فيها: فضعّفها الأكثرون. وصحّح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه». فهذا أمثل ما ورد في فضل شهر شعبان أو بعض أيامه ولياليه في الفضائل، وغيره لم يصح.

تخصيص شهر شعبان بالعبادة:

هنا ثلاث مسائل مهمة يجب التفريق بينها:

المسألة الأولى: صح بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الفعلية تخصيص شهر شعبان بالصيام، فمن ذلك.

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم. وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان. وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان» (أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)).

٢- وعنها رضي الله عنها قالت: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرًا أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله. وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا. وأحب الصلاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما دووم عليه وإن قَلّتْ. وكان إذا صلى صلاة داوم عليها». (أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦)).

٣- وعن أم سلمة قالت: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان» [أخرجه أبو داود (٢٣٣٦)، والترمذي (٧٣٦)، والنسائي (٢١٧٥)، (٢٣٥٢)، (٢٣٥٣)، وقال الترمذي: حديث أم سلمة حديث حسن».

ففي هذه الأحاديث بيان لصيامه صلى الله عليه وسلم: إما لشهر شعبان كله حتى يصله بشهر رمضان كما جاء في حديث أم سلمة - رضي الله عنها -. وقد نقل الاتفاق على ذلك جمع من أهل العلم منهم ابن العطار [ينظر: تطريز حكم صوم رجب وشعبان، لابن العطار (ص ٥٣).

أو صيام أكثره كما جاء في حديث عائشة - رضي الله عنها -. فإنه يجوز في لسان العرب إطلاق الكل على الأغلب الذي لا يترك منه إلا النادر، وقد نقل الترمذي عن ابن المبارك قوله في هذا الحديث: «هو جائز في كلام العرب، إذا صام أكثر الشهر أن يقال: صام الشهر كله. ويقال: قام فلان ليله أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره. وكأن ابن المبارك قد رأى كلا الحديثين متفقين، يقول: إنما معنى هذا الحديث أنه كان يصوم أكثر الشهر».

وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم صيام أكثر شعبان بقوله: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»؛ كما سبق في حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه -.

فعلل ذلك بأمرين اثنين:

الأول: أنه شهر يغفل عنه الناس، فتقع العبادة في وقت غفلة الناس.

الثاني: أنه شهر تُرفع فيه أعمال العام إلى الله.

المسألة الثانية: لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه تخصيص يوم أو ليلة من ليالي شعبان لفضلها بإيقاع عبادة فيها لا صيام ولا صلاة ولا قيام ولا نوع ذِكر بعينه.

المسألة الثالثة: ما ورد في ليلة النصف من شعبان من قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن». فيه عبادتان تركيتان من أعظم العبادات، وهي:

١ - السلامة من الشرك بنوعيه الأصغر، والأكبر:

- أما الشرك الأكبر: فإنه ذنب لا يُغفر، مُخرج من الملة إن مات صاحبه عليه، محبط لسائر

العمل، وصاحبه مخلد في نار جهنم، قال تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢).

- وأما الشرك الأصغر: فإنه إذا دخل على عمل أحبط أجره، فعن محمود بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: "الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟» (أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)).

وعنه أيضًا - رضي الله عنه - قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس إياكم وشرك السرائر. قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزيِّن صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر» (أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٣٧)).

٢ - سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عموما بأنهم يقولون: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ١٠).

وهاتان العبادتان متأكدتان في كلِّ وقت، وإنما خُصَّتا بالذكر هنا لذكر فضل الله على عباده بمغفرة ذنوبهم، والشرك والشحناء مانعان من أعظم موانع المغفرة فنبه عليهما.

أما تخصيص ليلة النصف بالعبادة أو الصلاة لاعتقاد فضلها فهو مُحدَث أنكره أهل الإسلام، قال ابن رجب في اللطائف (ص ١٣٧): «وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن عامر، وغيرهم يُعظِّمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك:

- فمنهم من قبله منهم وافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم.

- وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم: عطاء، وابن أبي مليكة، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك، وغيرهم، وقالوا: ذلك كله بدعة».

وقال الإمام النووي في المجموع (٤ / ٥٦): «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي ثنتا عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة، وهاتان الصلاتان بدعتان ومنكران قبيحان. ولا يغتر بذكرهما في كتاب: قوت القلوب، وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك باطل».

مسائل متفرقة:

وهذه ثلاث مسائل يحتاج إليها المسلم في هذا الشهر:

الأولى: حكم الصيام إذا انتصف شعبان.

الثانية: حكم صيام يوم الشك.

الثالثة: حكم صيام سرر (آخر) شهر شعبان.

أما المسألة الأولى: حكم الصيام إذا انتصف شعبان.

فقد ورد النهي عن الصيام إذا انتصف شهر شعبان، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا انتصف شعبان، فلا تصوموا». (أخرجه أبو داود (٢٣٣٧)، والترمذي (٧٣٨)، وابن ماجه (١٦٥١)، والنسائي في "الكبرى" (٢٩٢٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح).

وهذا الحديث صححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والطحاوي، وابن عبد البر، وآخرون. وضعفه ابن مهدي، وأحمد، وأبو زرعة، والأثرم، وآخرون، وعلته عندهم تفرد العلاء بن عبد الرحمن به فهو صدوق لا يتحمل ما تفرد به.

فاختلف أهل العلم في حكم الصيام إذا انتصف شعبان تبعًا لذلك على أقوال، أهمها قولان:

الأول: كراهية الصيام إذا انتصف شعبان وهو قول الشافعية وبعض الحنابلة وقد استثنوا من ذلك مسائل:

١ - من كان له عادة بالصيام، كمن يصوم يومًا

ويفطر يومًا.

٢ . من اعتاد أن يصوم الاثنين والخميس، فيصومها إذا وقعت بعد النصف.

٣ . من كان عليه صيام قضاء أو النذر أو كفارة

فيحمل الحديث عندهم على واحد من أربعة:

١ . من لم يصم في نصفه الأول شيئًا.

٢ . مَن يُضْعِفه صيام شعبان عن صيام رمضان.

٣ . مَن لم يكن له عادة بالصيام.

٤ . مَن يصومه احتياطًا لرمضان.

القول الثاني: القول بمشروعية الصيام مطلقًا وإن انتصف شعبان؛ لمعارضة الحديث بصيامه صلى الله عليه وسلم وصيام عائشة - رضي الله عنها - وأحاديث الحث على صيام سرر الشهر، وهو قول الجمهور.

المسألة الثانية: حكم صيام يوم الشك:

وهو: يوم الثلاثين من شهر شعبان إذا لم يثبت ثبوتًا شرعيًا أنه من رمضان، وسمي بذلك لأن الناس يشكّون أنه مُكمّل لشهر شعبان أو هو غرة شهر رمضان.

لحديث صلةَ بن زُفَرَ قال: «كنّا عند عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - فأُتيَ بشاة مَصْلِيَّةٍ فقال: كلوا، فتنحّى بعض القوم، فقال: إنّي صائمٌ. فقال عمّارُ: من صامَ اليومَ الذي يَشُكُّ به النَّاسُ، فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلّم» (أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦)، والنسائي (٤/١٥٣)، وابن ماجه (١٦٤٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوما فليصمه». (أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم (١٠٨٢)).

فذهب الجمهور إلى أنه يحرم صوم يوم الشك خوفًا من أن يكون من رمضان، أو احتياطًا، وهذا مذهب: الحنفية والمالكية، والشافعية، ورواية عن أحمد، وهو قول جمهور السلف، ولا فرق عند الجمهور بين يوم الغيم ويوم الصحو.

المسألة الثالثة: حكم صيام سرر (آخر) شهر شعبان:

معنى سرار الشهر: بكسر السين، وبفتحها، وقيل: إنّ الفتح أفصح: آخر الشهر. قال أبو عبيد: السرار آخر الشهر إذا استسر الهلال. قال ابن قتيبة: ربما استسر القمر ليلة أو ليلتين. ويجوز أن يكون معنى قوله: «سرر هذا الشهر» أي: من وسطه، لأنها الأيام الغر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصيامها، وسرارة كل شيء وسطه وأفضله. (ينظر: شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٤/ ١٢٩)).

وقد ورد فيه حديث عمران بن حصين - رضي الله عنهما -: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: هل صمت من سرر هذا الشهر شيئًا؟ قال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا أفطرت من رمضان، فصم يومين مكانه». وفي رواية: «أصمت من سَرَرِ شعبان؟» (أخرجه البخاري (١٩٨٣)، ومسلم (١١٦١)).

فاستدل بهذا الحديث على مشروعية صيام آخر شعبان لكنه معارض بقوله: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين»، والجمع بينه وبين هذا الحديث يسير؛ فقد استثنى النبي صلى الله عليه وسلم في نفس هذا الحديث فقال: «إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه»، فيُحْمَل الحث على صيام سرر الشهر على من كان له عادة بصيام، قال القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ١٣٤): «وظاهر الحديث مخالف لقوله: " لا تقدموا الشهر بيوم، ولا يومين" فيصح أن يحمل هذا:

- على أن الرجل كان ممن اعتاد الصوم في سرر الشهر.
- أو نذر ذلك.

وخشى أن يكون إذا صام آخر شعبان دخل في النهي؛ فيكون فيما قال عليه السلام دليل على أنه لا يدخل في هذا الذي نهي عنه من تقدم الشهر بالصوم.

- وأن المراد بالنهي، من هو على غير حالته».

هذا ما يسر الله تعالى في هذا المقال، والله أعلى وأعلم وأحكم.

ظاهرة وأد البنات قبل الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد كانت البشرية في فترة من عصورها قد التوت بها سبل الحياة، فانطفأت في قلبها مشاعل الرحمة والفهم المستنير، وأظلمت في نفسها معاني السمو والشفقة، فقتلت الأبناء مخافة الفقر، ووأدت البنات خشية العار، فإن ذلك كان شذوذًا خرجت به البشرية عن دائرة العقل السليم، وعاطفة الأبوة الرحيمة، وخسرت بسببه كثيرًا من النعم التي تكون مع وجود الأولاد من الزينة والسرور والصلة والبر والمعونة وامتداد الحياة.

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

هذا الأمر الذي عبر عنه القرآن الكريم بقول الله تعالى: « قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ » (الأنعام: ١٤٠).

وجاء عرب الجاهلية فأكملوا الجرم بوأد البنات خشية من عار التزوج بزوج دون أبيها في المكانة والشرف، أو عار الفاحشة، أو السبي في القتال.

قال الله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ » (الأنعام: ١٣٧).

وجاء الإسلام وهو الإنقاذ الرباني، فنهى عن قتل الأولاد حالاً ومستقبلاً، فإن الله الذي خلقهم قد ضمن الرزق لهم في حالة ما إذا كان الفقر حاصلاً بالفعل ووقع فيه الأب، وذلك قول الله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ » (الأنعام: ١٥١).

وحالة ما إذا كان الأب يتوقع الفقر مستقبلاً، جاء قوله تعالى: « وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ » (الإسراء: ٣١)، وهذا من لطائف التعبير القرآني الكريم، في الحالة الأولى بيان أن رزقكم مضمون وحاصل ورزقهم معكم، وفي الحالة الثانية رزقهن مضمون ورزقكم معهن سترزقون بسببهم فلا خلاف إذًا من الحاضر ولا من المستقبل.

وجاء الإسلام فانتقل بهذه الأمة الجاهلية نقلة كبيرة واسعة، وطفر بهم طفرة عالية، فبعد أن كانت البنات عارًا يلاحقهم، صاروا يكنون بهن ولا يجدون في ذلك حرجًا أو ضيقًا ولا عيبًا أو أذى، وربما رضى بالبنت، واحدة قسمًا وحظًا من الذرية، فأبو أمامة صدي بن عجلان الباهلي، وأبو أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي، وأبو رقية تميم بن أوس الداري، وأبو كريمة المقدام بن معد يكرب وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا.

وكان من أثر هذه الوثبة: أن صار الأولاد بهجة النفس، ومهوى الفؤاد، يرى الإنسان فيهم نفسه وحياته، دخل الأحنف بن قيس على معاذ بن أبي سفيان. فقال له: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟

قال: يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، بهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحونك وِدَّهم ويَحْبُونك مهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيكرهوا قربك، ويملوا حياتك، ويودوا وفاتك.

والآن من الزوجات من تبكر ببنت، وتثنى ببنت، وتثلث ببنت، وقد تربع ببنت، فلا تجد هذه الحالة قبولاً لدى كثير من الأسر، فيهجرها زوجها، ويقاطعها أو يجبرها على أخذ مانع يمنعها من الحمل، وتصبح الزوجة وتمسي وهي تسمع عبارات عدم الرضى واللوم والنقد والتوبيخ تقرع أذنها، وتنظر النساء في الأسرة إليها نظرة ازدراء واستخفاف، وتصبح حياتها حياة تعسة لما ترى من المعاملة، ولما تحس من التحقير.

إننا نؤكد أن هذه النظرة نظرة جاهلية حرمها الإسلام تحريمًا قاطعًا. قال الله تعالى منكرًا على أهل الجاهلية: « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ » (النحل: ٥٨، ٥٩).

فكان القول فيهم «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» من الغم الذي أصابه «وَهُوَ كَظِيمٌ» أي: كاظم على الحزن والأسف إذا بُشر بأنثى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه، ويتوارى منهم من سوء ما بُشر به.

ثم يعمل فكره ورأيه الفاسد، فيما يصنع بتلك البنت التي بشر بها «أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ» أي: يتركها من غير قتل على إهانة وذل؟ «أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ» أي: يدفنها حية، وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين «أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

وكان للعرب تفنن في الوأد. فمنهم من إذا صارت بنته سداسية يقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها. وقد حفر لها بئرًا في الصحراء.

فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها بالتراب حتى تستوي البئر بالأرض.

ومنهم من كان إذا قربت امرأته من الوضع، حفر حفرة للتمخض على رأس الحفرة. فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة، وإذا ولدت ابنًا حبسته.

وبالجملة، فكان الوأد عادة من أشنع العادات في الجاهلية، مما يدل على نهاية القسوة وتمام الجفاء والغلظة.

انظر إلى هذه القسوة وغلظ القلب وقتل البنات البريئات بغير ذنب سوى خوف الفقر والعار، كيف استبدلت بالرحمة والرأفة بعد أن خالط الإسلام قلوب العرب؟ فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها بمحوه هذه العادة القبيحة!

ومن أثر نعمته أن صار أدباء الصدر الأول يصوغون في مدحهن ما هو أبهى من عقود الجمان: فمن ذلك قول معن بن أوس:

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم
وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى
خوادم لا يمللنه ونوائح

وحكي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ابنته.

فقال: من هذه يا معاوية؟

فقال: هذه تفاحة القلب وريحانه العين وشمامة الأنف.

وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت:

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء وأم الأبناء وجالبة الأصهار، والأولاد والأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النساء كمن وجدنا
لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
وما التذكير فخر للهلال

والله تعالى يعرفك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها. فادرع اعتباطًا، واستأنف

نشاطًا، فالدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب. والنفس مؤنثة وهي قوام الأبدان وملاك الحيوان.

والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ولا عرف الأنام.

والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهنيئًا لك هنيئًا لما أوتيت، وأوزعك الله شكر ما أعطيت.

ونسخت رقعة لأبي الفرج الببغاء: اتصل بي خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها، وأنبتها نباتًا حسنًا. وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر، وقد علمت أنهن أقرب من القلوب، وأن الله بدأ بهن في الترتيب فقال عز من قائل: «يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ» (الشورى: ٤٩)، وما سماه الله تعالى هبة، فهو بالشكر أولى، وبحسن التقبل أحرى.

فهنأك الله بورود الكريمة عليك، وثمرتها إعداد النسل الطيب لديك. (محاسن التأويل تفسير سورة التكوير (٧/٢٧٠)).

ولذلك فإننا نؤكد أن هذه النظرة المتشائمة للبنات تحمل في طياتها الأمور التالية:

أولاً: الرجوع إلى الجاهلية الظالمة التي تبرأ منها المجتمع الإسلامي منذ العصر النبوي.

ثانيًا: الاعتراض على قدرة الله، والسخط على عطائه.

والسبب في ذلك يعود إلى ضعف الإيمان، وزعزعة اليقين، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من إناث، لم يملكوا هم ولا نساؤهم، ولا من في الأرض جميعًا، أن يغيروا من خلق الله تبارك وتعالى في تدبيره المبرم، وإرادته النافذة ومشيئته المطلقة وأمره الغالب في شأن الإناث، وشأن الذكور.

« لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » (الشورى: ٤٩، ٥٠).

فهو سبحانه وتعالى بحكم سلطانه على الأرض والسماء، فإنه يتصرف كيف يشاء، يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم له ذكورًا وإناثًا، ويجعل من يشاء من الناس عقيمًا لا يلد، وهذا ناتج عن علم أحاط بكل شيء، وقدرة أخضعت لها كل شيء، فالواجب أن يسلِّم العبد لربه فيما وهبه وأعطاه، إذا الله يعطي لحكمة ويمنع لحكمة، فصفتا العلم والقدرة بهما يكون الولد ولا يكون، فليسلم الأمر لله في العقم والولادة، ومن السفه الاعتراض على حكم الله.

عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا، فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، والصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص». (صحيح الجامع (٧٩٧)).

ولذلك فإن رزق الوالد بالبنات، أو بالذكور أو بالبنات والذكور أمر يرجع إلى علم الله وتقديره وليس للعباد دخل فيه ولا اختيار.

ثالثًا: الظلم الصارخ الذي يلحق بالزوجة التي لا اختيار لها في هذا الأمر، ومما لا شك فيه أن هذه النظرة ستجعل الزوجة تعيش في جو من القلق، وهذا يجر إلى تصرفات غير متوازنة منها حتى مع الطفلة المولودة، كما أنه سيوجد الاضطراب في العلاقات الأسرية، ويجب أن نعلم أن التشاؤم من البنات مرفوض شرعًا وعقلاً وهو أمر لا مبرر له، إذ لولا البنات ما كان الرجال، ولولا الرجال ما كان البنات، ولولا ذلك ما استقام أمر الحياة، وخلق الأنثى وخلق الذكر من الله، ولا دخل للوالد ولا للوالدة في ذلك على الإطلاق.

وقد عبرت إحدى النساء عن ظلم هذه النظرة حين قاطعها زوجها بسبب ميلاد البنات وهجرها.

قالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وانما نأخذ ما يعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

فيجب على الأسرة المسلمة الرضى بما قسم الله لها من البنين والبنات، وترضى كذلك إذا حرمها، فلا تسخط إذا جاء القسم على غير هواها أو مزاجها أو مزاج أفرادها.

وهذا الرضى ينم عن إيمان عميق يعيش في صدور أفرادها.

ولكي يقتلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية، خص البنات بالذكر، وأمر الآباء والمربين بحسن صحبتهن، والعناية بهن، والقيام على أمورهن، ليستأهلوا دخول الجنة. وبالتالي حتى تكون تربية البنات، وتحقيق الخير لهن على الوجه الذي يرضي الله سبحانه، ويأمر به الإسلام، وإليكم بعض التوجيهات النبوية في وجوب العناية بالبنات والاهتمام بهن:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضم أصابعه». (مسلم (١٤٣٢)). (جاريتين): أي بنتين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا، فأخبرته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار». (متفق عليه: البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩)). (ابتلى): أي اختبر.

وعنها رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة- أو- أعتقها بها من النار». (مسلم (٢٦٣٠)).

وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهن، إلا كن له سترًا من النار». (صحيح الجامع (٥٣٧٢)).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن من جِدَته، كن له حجابًا من النار يوم القيامة». (صحيح الجامع (٦٤٨٨)، والصحيحة (٢٩٣، ١٠٢٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١٣، ١٤)).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كن له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وأقام عليهن كان معي في الجنة هكذا، وأومأ بالسبابة والوسطى». (الصحيحة (٢٩٥)).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة ألبتة»، فقال رجل من بعض القوم: وثنتين يا رسول الله؟ قال: «وثنتين». (الصحيحة (١٠٢٧)، البخاري في الأدب المفرد (١٤)).

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عال جاريتين حتى يدركا، دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه. (السلسلة الصحيحة (٦٣٩١))

فهل بعد هذا الفضل فضل في تربية البنات؟ فما على المربين إلا أن يأخذوا بهذه الإرشادات النبوية، والتعاليم الإسلامية في وجوب العناية بالبنات، وتحقيق العدل والمساواة بينهن وبين الأولاد. ليحظوا بجنة عالية قطوفها دانية، ولينجوا من نار حامية.

والحمد لله رب العالمين.

القرآن الكريم
بين وعي العقلاء وغفلة السفهاء

إعداد أ.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فليس من العجيب أن نسمع بين الفينة والفينة عن قيام بعض المتعصبين الغربيين بحرق كتاب الله (القرآن الكريم) علانية في تفاخر كاذب موهوم وتعصب جاهل ممقوت لجرمهم الشنيع المشهود، والتخرص بالباطل على آياته وأحكامه من خلال حملات مسعورة وتيارات فكرية تتلون بألوان مختلفة وتتخذ أشكالاً متنوعة سواء كانت غربية خالصة أو بواسطة المتلقفين لحضارتهم من المنتسبين الى الإسلام شكليًا والى العربية جغرافيًا أو الإلحاديين الذين لا يتطاولون إلا على القرآن الكريم وحده دون المساس بالتوراة أو الإنجيل أو كتب السيخ والهندوسية أو البوذية وغيرها.. وهذه الحملات الفاحشة المستبشعة مدفوعة دفعًا عاصفًا نحو تشويه القرآن الكريم والتشكيك فيه وتكذيبه، في عدائية جلية واضحة وتطرف منبوذ مكروه، يتردد صداه المزعج في كافة الأرجاء استغلالاً للظروف الصعبة التي يمر بها العالم الإسلامي في وقتنا المعاصر. لذلك فإنهم يسعون بفجور غير مسبوق وخطى جنونية سريعة.

من أجل تحقيق أهدافهم الخبيثة بمناهج شيطانية مخيفة وقواعد مرذولة مقبوحة بحيث تؤدي إلى إزالة القرآن الكريم كليًا من حياة المسلمين. ومع كل ما في هذه الحملات من شراسة وعدوانية، وكل ما فيها من سلوكيات مستهجنة عند كل العقلاء في الشرق والغرب، فإن سيف الله لا يزال مسلولاً وألسنة العلماء لا تكفَ عن إظهار فضائل القرآن وحمل أنواره والدفاع عنه وتبليغ أحكامه وهداياته وبيان مراده اتباعًا لهدى النبي الكريم وأصحابه رضي الله عنهم. وهو ما يخيف دعاة الباطل وأئمة الضلال فيعمدون إلى التهكم على حملته والسخرية منهم والتقليل من قدرهم والحطّ من قيمتهم بقصد صرف الناس عنهم.

وقد حاول الغربيون تقديم تفسيرات للنصوص القرآنية، تعتمد على التشويه والتضليل المتعمدين لأحكامه ومعانيه ومقاصده وغاياته بغية إيقاف الأفواج الغربية الداخلة في دين الإسلام والمقبلة على اعتناقه بصورة غير مسبوقة أقلقت أرباب العداء القديم والحقد الدفين، بيد أن المقبلين على الإسلام اقتنعوا من بعد علم وهدى وبصر وبصيرة بأن الإسلام هو رسالة الله للبشرية قاطبة، واستيقنت أنفسهم أن القرآن الكريم هو سبيل خلاصهم من براثن الحضارة الغربية المخالفة في كثير من نواحيها للفطرة الإنسانية السليمة التي فطر الله الناس عليها، وكذلك ليخرجوا من ظلمات الأفكار المادية والإلحادية المدمرة للقلب والروح، وعلموا بعد بحث ممحص هادئ ودراسة متأنية مستفيضة ومعرفة يقينية أن القرآن العظيم هو كتاب الله الموحى به إلى الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ليفتح به قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وآذانا صمًا.

وهذا هو السر في إقدام بعض الغربيين على إحراق نسخة من القرآن الكريم والعبث بأوراقها علنًا أمام سفارات الدول الإسلامية في الدول الغربية وفي ميادينهم العامة وبحضور إعلامي مكثف بهدف نشر هذا المشهد في أوسع نطاق بشري عالمي لعل ذلك يخمد نار حقدهم على الإسلام وأهله، وعساه يوقف المد الإسلامي النافذ إلى القلوب والعقول الغربية المتميزة ليهدم ما بناه الفكر المادي من أصنام بشرية فلسفية ضللت المجتمعات الإنسانية ردحًا طويلاً من الزمن، ونالت مزاعمها الفكرية من الكيان الإنساني فحولته إلى بهيمة تعمل على إشباع غرائزها وشهواتها بلا روية أو نظام؛ ويزيل ما كرّسه كهنة الأديان الوهمية من مفاهيم خاطئة عن الله الواحد الأحد الفرد الصمد خالق الكون وواهب الحياة وعبدت ما خطته أيديها وما حرفته ألسنتهم وما نسبوه زورًا إلى السماء ليخلف ذلك دمارًا هائلاً للسلوك والأخلاق والتوجهات النفسية التي نجم الشذوذ الجنسي والنزعات الإباحية المطلقة كهدف وغرض انصرفت المجتمعات الغربية إلى الظفر به على أي وضع كان وفي السر والعلن متى طلبت النفس ذلك واستمتعت به. والأشد عجبًا أنهم كلما أقدموا على جرمهم المشهود وفعلتهم النكراء بإحراق نسخة من القرآن علنًا كلما زاد الإقبال الغربي على قراءة الكتب الإسلامية المترجمة إلى لغتهم فيدخلون في دين الله أفواجًا ويتحولون إلى دعاة للإسلام يعرضون حقائقه ومقاصده وغاياته بجد وصبر مكافح لا يعرف الفتور ولا تجد من جهته رائحة اليأس والقنوط، خاصة أن معظمهم كان من قبل الدخول في الإسلام يتبوأ مكانة اجتماعية رفيعة في مجتمعه، فإسلامنا يشد اليه كل عاقل واع متميز منهم وما هم عليه لا ينجر إليه من مجتمعاتنا سوى السفهاء والحثالة وتلك حقيقة واقعة ظاهرة لكل ذي عينين.

القرآن الكريم في عيون غربية منصفة: وهي رؤى غربية منصفة التقطت من أقلام مفكرين غربيين درسوا الإسلام فراعهم جماله واعجبتهم مبادئه، ولكنهم لم ينزلوا قناعتهم من سماء العقل إلى أرض القلب،

ولم يسقوها بماء الوجدان، فلم تنمو غرسها ولم تثمر!! وفشلوا في أن يحولوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له، والإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجري في العروق، وبذا فقد فشلوا في أن يحققوا السلام الداخلي في أعماقهم... نعم لم يبق أمامهم إلا ضربة معول واحدة قد يصلوا إلى النبع الأصيل، فلم يفعلوا.. حاموا وهم الظماء حول الماء ولم ينهلوا!! وإنما نعرض أقوالهم لأولئك المهزومين أمام الغرب، الذين لا يشربون الكأس الروية إلا إذا كانت بيد غربية أو غيرها شريطة ألا تكون إسلامية!! ولا يجرعون الدواء إلا من تلك الصيدلية!! على أن بعض هذه العبارات كانت في سياقها شركًا نصب للعقل المسلم، ولا حرج علينا ما دمنا التقطنا الحبة، ومزقنا الشبكة، وأقلعنا بسلام.

يقول غوته نقلاً من كتاب غوته والعالم العربي لكترينا مومزن: "إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة.. فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم.. وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي"، ولما بلغ غوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بليلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد.. وفي يوم أبصر غوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن فهتف: مرحبًا بك في هذا المكان المقدس، أغلى كنز في الأرض. ويقول جوته: هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولتتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض. القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكرنا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمدًا هو الإله!!

وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل، في مقدمتها لكتاب "الإسلام كبديل" لمراد هوفمان: "القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لم تتجاوز المستوى السطحي، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة؟!".

ويقول الباحث الأمريكي مايكل هارت في كتابه المعروف "المائة الأوائل"، "لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن. بين أيدينا كتاب فريد في أصالته وفي سلامته، لم يشك في صحته كما أنزل، وهذا الكتاب هو القرآن".

ويقول المستشرق "فون هامر" في مقدمة ترجمته للقرآن: "القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمدًا قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية". ويقول أيضًا:
"القرآن وحي من الله، لا يحده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة".

ويقول المستشرق بار تلمي هلر: "لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ المائدة ٦٧. صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته!"

ويحاول المفكر مارسيل بوازار أن يصل إلى سر التأثير العجيب للقرآن فيقول: "القرآن يخاطب الإنسان بكليته... من منظور تستطيع نسبته إلى علم النفس التطبيقي".

ونقول له ولغيره من المنصفين الغربيين للقرآن الكريم: إن الذي خلق النفس البشرية والخبير بدروبها ومنعطفاتها وآفاقها، هو الذي أنزل القرآن ليهديها السبيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

إن القرآن الكريم كلام الله الموحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته والمتحدى بأقصر سورة منه المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي يعلم ما يصلح به حال البشر وما يحقق لهم النفع في حياتهم وبعد مماتهم، فنظم كافة شؤونهم في توازن محكم وحكيم وعلى أحكامه ونظمه ومسائله ومبادئه وقواعده أسست كل العلوم والمعارف الإنسانية تعبدية كانت أو علمية أو اجتماعية، فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا هو حبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، من

تمسك به نجا، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم، وأمام أنواره وهداياته الإلهية القويمة ومحاسنه الرفيعة هدمت الأصنام والأوثان الفكرية والحجرية والبشرية المسيطرة على العالم قبل نزوله على النبي الكريم وألقت خزعبلاتهم وخرافتهم في أودية الضلال ومسارب الأباطيل وأزال ما ران على قلوبهم من العداوة والبغضاء والشحناء وامتدت راية القرآن الكريم في كل ربوع الأرض وفي كل موضع تطأه قدم لبشر.

القرآن الكريم عطاء يتجدد ولا ينفد

لا ريب أن عرب الجاهلية باعتبار انحطاطهم التاريخي وباعتبار أنهم كانوا في المرتبة الأدنى حضاريًا، كانوا النموذج الأمثل لتأثير معجزة القرآن الكريم على البشرية؛ لأن مجرد نجاح القرآن في نقلهم تلك النقلة كان دليلاً على إمكان تكرار هذه المعجزة مع أمم أخرى، كانت في الأساس في مرتبة أفضل من العرب. لكن ذلك لا ينفي بالضرورة وجود خصوصية إيمانية في الأجيال المسلمة تسهم في جعل هذه المعجزة تؤتي ثمارها الأكيدة ومنافعها المكفولة.. أو على الأقل تجعل من إمكانية النتائج المترتبة على العمل الصادق بالقرآن على منهج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم متحققة في الواقع البشرى، فالاستخلاف في الأرض وتمكين دين الإسلام فيها وتحقيق الأمن بعد الخوف لا يكون إلا بالايمان والعمل الصالح والعمل الصالح لا يكون صالحًا مقبولا إلا إذا وافق القرآن العظيم ووافق النبي الكريم الموحى إليه به موافقة تامة وكاملة في الإجمال والتفصيل.

فعطاء القرآن الكريم يتجدد ولا ينفد أبدًا طالما طُبق تطبيقًا حقيقيًا وواقعيًا في حياة المجتمعات البشرية؛ إذ إنه يدعو إلى الفطرة الإنسانية ويرسخ دعائمها ويحيطها بسياج من الأوامر والنواهي والقواعد الهادية والمبادئ الراقية والنظم الفريدة التي تبلغ بالإنسان أعلى المراتب التي يمكنه الوصول إليها في كل مناحي حياته، فالقرآن الكريم دعوة إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها حين خلقهم جل وعلا حنفاء قبل أن تجتالهم الشياطين فتزيغ أبصارهم وتعمي بصائرهم عن معرفة الدلائل الظاهرة والبينات الباهرة على وحدانية الواحد الذي فطر خلقه وكونه.. بحيث يكون هذا الكون مسبحًا شاهدًا ناطقًا بوحدانية الحي القيوم فجوهر الفطرة يبقى .. ويخلد ويدوم .. مهما علا عليه الركام.. وطمثه الرغام.. لكن إن وجد من يعيده إلى صفائه ونقائه وبهائه أضاء ما بين السماء والأرض وعاد الإنسان إليه بفطرته التي فطره عليها فاطر السموات والأرض تبارك وتعالى.

وقد يستطيع أعداء الله إغلاق كل باب يؤدي إلى حوزة الإسلام وقد يستمرئون وهمهم، ويظنون أنهم قادرون على أن يغلقوا كل طريق ويقطعوا كل سبيل على السالكين إلى الله الطالبين لمرضاته، ولكن هيهات ثم هيهات فلو أن هناك مائة باب تؤدي إلى دار الإسلام فإن هؤلاء الأعداء قد يستطيعون سد تسعة وتسعين بابًا منها ولكنَّهم -حتمًا- لا يملكون سد باب شاء الله أن يكون مفتوحًا إلى يوم القيامة.. يرحب بالداخلين وينادي عليهم ويبسط بين أيديهم تحياته الطيبات ودعواته المخلصات الخالصات التي تشرح الصدور وتيسر لهم الأمور وتدعوهم إلى معرفة الواحد القهار العزيز الغفار مقلب الليل والنهار تذكرة لأولي القلوب والأبصار وتبصرة لذوي الألباب والاعتبار، إنه باب الفطرة الإلهية التي يستدل على سلامتها بكل ما ذكره الله في كتابه الحكيم "القرآن الكريم" فبتطبيقه تستقيم الفطر وتقام الحجة على سلوك الناس وأخلاقهم ومعاملاتهم بالحكمة والموعظة فيكون الجدال بالتي هي أحسن حماية للإنسان من شطط الفكر وجموح العقل وسوء التصرف وشذوذ القول والعمل والفهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

تفريج الكربات

قال الله تعالى: " قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ "

(الأنعام: ٦٣).

من أقوال السلف

قال الأوزاعيّ رحمه الله تعالى: «ما من أمرٍ أمَر الله به إلّا عارض الشّيطان فيه بخصلتين، ولا يبالي أيّهما أصاب: الغلوّ أو التّقصير» (المقاصد الحسنة للسخاوي)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حفظ الأمّة من الأمراض والأوبئة

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «غطّوا الإناء، وأوكوا السّقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السّراج. فإنّ الشّيطان لا يحلّ سقاء، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناء. فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا، ويذكر اسم الله، فليفعل. (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن جابر عن أبي جعفر قال: قلت له: هل كان فيكم أهل البيت أحد يسبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: لا، فتولهما واستغفر لهما وأحبهما، قلت: هل كان فيكم أحد يؤمن بالرجعة؛ قال: لا. (الشريعة للآجري)

من دلائل النبوة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لأعرف حجرًا بمكّة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبعث. إنّي لأعرفه الآن». (صحيح مسلم).

إعداد : علاء خضر

من معاني الأحاديث

(غمس) فيه «اليمين الغموس تذر الديار بلاقع» هي اليمين الكاذبة الفاجرة كالتي يَقتطع بها الحالف مال غيره. سُمِّيت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار. (النهاية لابن الأثير)

حِكَم ومواعظ

قال الإمام أحمد رحمه الله: صدق المتوكِّل على الله عزَّ وجلَّ، أن يتوكَّل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميِّين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكِّلاً. (الآداب الشرعية).

من حكمة الشعر

الشدة يعقبها الفرج، وإن مع العسر يسرًا،

يقول الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعًا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربّ السّماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم» (سنن أبي داود).

من اعتقاد السلف

قال الإمام البربهاري: "الله -جل ثناؤه- واحد {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ربنا أول بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وهو على عرشه استوى، وعلمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان". (كتاب السُّنة)

فقه المرأة المسلمة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن الطلاق الرجعي ومشروعيته، وعن شروط الرجعة وكيف تحصل، وحق الزوج في الرجعة من غير إذن زوجته، ونستكمل ما بدأناه سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

أولاً: هل الإشهاد على الرجعة واجب أو مستحب؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء: أبو حنيفة ومالك والشافعي في أحد قوليه وأحمد إلى أن الإشهاد على الرجعة مستحب.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

قوله تعالى: « وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ » (البقرة: ٢٢٨)؛ حيث جعل الزوج أحق بردها، فلو افتقر إلى رضاها لكان الحق لها.

أن الإشهاد على الطلاق ليس بواجب، فالإشهاد على الرجعة استحباباً أولى.

ولأن الرجعة لا تفتقر إلى قبول فلم تفتقر إلى شهادة، لأن الرجعة لا تفتقر إلى ولي ولا صداق ولا رضا المرأة ولا علمها، فلما لم يعتبر فيها شروط النكاح لم يعتبر فيها الشهادة.

ولأنها رفع تحريم طرأ على النكاح فأشبه الظهار.

ولأن البيع أوكد منها لاعتبار القول فيه دونها، فلما لم تجب الشهادة في البيع، فالرجعة من باب أولى. وحملوا قوله تعالى: « وَأَشْهِدُوا » على الاستحباب.

القول الثاني: ذهب الشافعي في أحد قوليه وابن حزم إلى وجوب الإشهاد في الرجعة.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

قوله تعالى: « وَأَشْهِدُوا » قالوا: إن الأمر في الآية للوجوب.

لأنه عقد يستباح به بضع المرأة، فوجب فيه الشهادة كالنكاح- الحاوي (٣١٩/١٠).

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: من قال باستحباب الإشهاد على الرجعة:

قال السرخسي في المبسوط (٢٢/٦):

والمراد بالآية الاستحباب، ألا ترى أنه جمع بين الرجعة والفرقة وأمر بالإشهاد عليهما، ثم الإشهاد على الفرقة مستحب لا واجب، فكذلك على الرجعة، وهو نظير قوله تعالى: «وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ» (البقرة: ٢٨٢)، ثم البيع صحيح من غير إشهاد، وليس في الرجعة عوض لا قليل ولا كثير لأنه استدامة للملك فلا يستدعي عوضًا، ولهذا لا يعتبر فيه رضاها ولا رضا الولي، ولأن الله تعالى جعل الزوج أحق بذلك... وساق الآية في سورة البقرة كما تقدم.

جاء في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٩/ ٣٣٠): وندب للزوج الإشهاد على الرجعة، وأصابت من منعت نفسها من الزوج له؛ أي: لأجل الإشهاد فتثاب على ذلك.

جاء في الروض المربع (٣/ ١٨٤): ويسن الإشهاد على الرجعة وليس شرطًا فيها؛ لأنها لا تفتقر إلى قبول فلم تفتقر إلى شهادة، وجملة ذلك أن الرجعة لا تفتقر إلى ولي ولا صداق ولا رضا المرأة ولا علمها، وهي- أي: الرجعية- زوجة يملك منها ما يملكه ممن لم يطلقها.

جاء في شرح المهذب (١٨/ ٤١٠): تصح الرجعة من غير ولي وبغير رضاها وبغير عوض؛ لقوله تعالى: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ»، فجعل الزوج أحق بردها، فلو افتقر إلى رضاها لكان الحق لها.

ثانيًا: من قال بوجوب الإشهاد على الرجعة:

قال الماوردي في الحاوي (١٠/ ٣١٩): أما الرجعة: فلا تفتقر إلى ولي، ولا إلى قبول الزوجة ويجوز للزوج أن ينفرد بها. وهل تفتقر إلى شهادة وتكون شرطًا في صحتها أو لا؟ على قولين:

أحدهما: قاله في الإملاء أن الشهادة في الرجعة واجبة مع التلفظ بها، فإن لم يشهد كانت الرجعة باطلة؛ لقول الله تعالى: «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ»، فهذا أمر واقتضى الوجوب، ولأنه عقد يستباح به بضع الحرة، فوجب فيه الشهادة كالنكاح.

القول الثاني: نص عليه في القديم والجديد، أنها مستحبة ليست بواجبة؛ لأنه لما لم يعتبر فيها شروط النكاح في غير الشهادة من الولي والقبول- لم يعتبر فيها الشهادة، ولأنها رفع تحريم طرأ على النكاح فأشبه الظهار.

ولأن البيع أوكد منها لاعتبار القول فيه دونها، ثم لم تجب الشهادة في البيع، فكان بأن لا تجب لاعتبار القبول فيه دونها، ثم لم تجب الشهادة في البيع فكان أن لا تجب في الرجعة أولى.

فأما قوله تعالى: «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مُنكُمْ»، فهو عطف على الرجعة في قوله: «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» (الطلاق: ٢)، وعلى الطلاق في قوله: «أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ»، ثم لم تجب في الطلاق وهو أقرب المذكورين فكانت بأن لا تجب في الرجعة لبعدها أولى، فعلى هذا تكون الشهادة عليها ندبًا إن لم تشهد صحت الرجعة.

جاء في المحلى (١٠/ ١٧): فإن راجعها ولم يشهد، فليس مراجعًا لقول الله تعالى... وساق الآية كما في سورة الطلاق ثم قال: فرق عز وجل بين المراجعة والطلاق والإشهاد، فلا يجوز إفراد بعض ذلك عن بعض، وكان من طلق ولم يشهد ذوي عدل أو راجع ولم يشهد ذوي عدل متعديًا لحدود الله تعالى.

تعقيب وترجيح:

أرى-والله تعالى أعلم- أن الصواب في هذه المسألة أنه يجوز للزوج مراجعة زوجته بغير إذنها كما نقلنا أدلة الجمهور على ذلك، أما الإشهاد في الرجعة فالذي تطمئن له النفس أنه للاستحباب وليس للوجوب؛ لما تقدم من أدلة أهل العلم، والذي يقوي ذلك عندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه في حديث ابن عمر الذي أخرجه البخاري ومسلم: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا»، ولم يأمره بالإشهاد على المراجعة ولم يقل له: استئذن الزوجة

للمراجعة، فالحديث صارف للآية من وجوب الشهادة إلى الاستحباب، وهذا مذهب الأئمة الأربعة، والله تعالى أعلم بالصواب.

ثانيا: ما يجوز للزوج أن يطلع عليه من المطلقة الرجعية:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب مالك والشافعي والإمام أحمد في قول إلى أن الرجعية محرمة فلا يجوز للزوج لمسها ولا النظر إليها حتى يراجعها.

القول الثاني: ذهب أبو حنيفة وأحمد في قول وابن حزم إلى جواز النظر إلى الرجعية وأن يخلو بها.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

قوله تعالى: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ» فسماه الله تعالى: «بعلاً» فهي زوجة له، فجاز النظر إليها والخلوة بها وغير ذلك. لم يأت نص بمنعه من شيء من ذلك- المحلى (١٦/١٠).

أقوال الفقهاء في المسألة:

أولا: من قال الرجعية محرمة:

جاء في المدونة (٧/٢): قلت: أرأيت إن طلق امرأته تطليقة يملك الرجعة هل تزين له وتشوف له؟ قال: كان قوله الأول لا بأس أن يدخل عليها ويأكل معها إذا كان معها من يتحفظ بها، ثم رجع عن ذلك فقال: لا يدخل عليها ولا يرى شعرها ولا يأكل معها حتى يراجعها، قلت: هل يسعه أن ينظر إليها أو إلى شيء من محاسنها تلذذًا وهو يريد رجعتها في قول مالك؟ قال: لم أسمع من مالك في هذا شيئًا، وليس له أن يتلذذ بشيء منها وإن كان يريد رجعتها حتى يراجعها، وهذا على الذي أخبرتك أنه يكره له أن يخلو معها أو يرى شعرها أو يدخل عليها حتى يراجعها.

جاء في الحاوي الكبير (٣٠٨/١٠): المطلقة طلاقًا رجعيًا وهو أن يطلقها واحدة أو اثنتين بغير عوض، وهي مدخول بها محرمة عليه قبل الرجعة تحريم المبتوتة في الوطء والاستمتاع والنظر، وبه قال ابن عباس وعبد الله بن عمر، وهو مذهب مالك وعطاء وأكثر الفقهاء.

قال صاحب المغني (١٨٧/٧):

وظاهر كلام الخرقي أن الرجعية محرمة لقوله: «وإذا لم يدر أواحدة طلق أم ثلاثًا؟ فهو متيقن للتحريم شاك في التحليل» وقد روي عن أحمد ما يدل على هذا وهو مذهب الشافعي وحكي ذلك عن عطاء ومالك، وقال القاضي: ظاهر المذهب أنها مباحة، قال أحمد في رواية أبي طالب لا تحتجب عنه، وفي رواية أبي الحارث تتشوف له ما كانت في العدة، فظاهر هذا أنها مباحة له وله أن يسافر بها ويخلو بها ويطأها، وهذا مذهب أبي حنيفة؛ لأنها في حكم الزوجات فأبيحت له كما قبل الطلاق.

ثانيا: من قال الرجعية غير محرمة:

جاء في التجريد للقدوري (٥٣٠٩/١٠): المطلقة الرجعية زوجة، وأحكام الزوجية قائمة.

قال ابن حزم في المحلى (١٦/١٠): في معرض كلامه عن الطلاق الرجعي:... فإذًا هي زوجته فحلال له أن ينظر منها إلى ما كان ينظر إليه منها قبل أن يطلقها وأن يطأها؛ إذ لم يأت نص بمنعه من شيء من ذلك، وقد سماه الله تعالى: «بعلاً» لها إذ يقول عز وجل: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ» (البقرة: ٢٢٨).

جاء في الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص: ٥٨٧): الرجعية (زوجة) يملك منها ما يملكه ممن لم يطلقها و (لها) ما للزوجات من نفقة وكسوة ومسكن (وعليها حكم الزوجات) من لزوم مسكن ونحوه.

تعقيب وترجيح

ما ذهب إليه الأئمة- أبو حنيفة وأحمد وابن حزم وغيرهم- من جواز النظر إلى الرجعية والخلوة بها هو ما أرجحه لأنها زوجة، ولم يرد نص من الكتاب أو السنة، ولم ينعقد الإجماع على تحريم الرجعية على الزوج، هذا والله تعالى أعلم.

حُكم الألعاب الإلكترونية

إعداد **د. عبد القادر فاروق**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الألعاب الإلكترونية من المُستجَدات التي طـرأت على مجتمعاتنا نتيجة التطور التقني في الـدول الغربية، ويستند بيان الحكم الشرعي للمستَجَد من خلال التصور الدقيق له، والتكييف الفقهي، والبحث عن أصل سابق يتعلق المستَجَد به، ومن ثَمَّ تقرير حُكمه بعد استيفاء ذلك.

أولًا: تعريف الألعاب الإلكترونية:

هـي جميع أنـواع الألـعـاب المـتـوافـرة على شكل هيئات إلكترونية رقمية، وتشمل هذه الألعاب، ألعاب الحاسوب (المحمول أو الثابت)، وألعاب الإنترنت، وألعاب الفيديو، وألعاب الهواتف النقالة. (مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، د/ راندا محمد سيد أحمد (ص ٨٩٩)، العدد ٥١، المجلد ٣، يوليو ٢٠٢٠م).

ثانيًا: الحُكم الفقهي:

الأصل في الألعاب الإلكترونية أنها من وسائل الترفيه المباحة، فالشريعة الإسلامية لا تُحَـرِّم اللعب، ولا المـرح، غير أنَّ كثيرًا من وسائل الترفيه -ومنها الألعاب الإلكترونية - اقترن بها في هذا الزمان بعض المحاذير الشرعية التي تُخرِج الترفيه عن مقصده المباح، وشكله البريء إلى صور من السلوكيات الضـارة على الفـرد والمجـتـمـع، ومـن هذه المحاذير (حُمَّى الألعاب الإلكترونية، تأليف: محمد صالح المنجد: ص ٨٣: ٨٧):

١- الإدمان الشديد - لدى كثير من الشباب - بحيث يعود ذلك عليهم بالضرر الصحي، والنفسي، والإرهاق الذهني، وضياع الأوقات، والأعمار، ويشغلهم عن كثير من الإنجازات النافعة، والـواجـبـات الشرعية، كإقامة الصلاة وبر الوالدين .

٢- اشتمال بعض الألعاب الإلكترونية على ما يُخالف العقيدة الإسلامية، كتلك الألعاب التي تدعو لرفع شعار الأديـان الأُخـرى، أو تُظهر اللعبة وكأنها انتصار لعقيدة ما، أو تُشوه صورة الإسلام والمسلمين، كما في بعض الألعاب التي تدعو إلى قَتْل المسلمين، ويستغلها بعض المنتجين الحاقدين لنشر ثقافتهم، ورؤيتهم. والألعاب التي تقوم على تقديس الصليب، وأنَّ المـرور عليه يُعطي صحةً وقوةً، أو يُعيد الرُّوح، أو يزيد في الأرواح بالنسبة للاعب .، والألعاب التي تُقِر السِّحر والسحرة.

٣- الألعاب المشتملة على تصوير للعورات

المكشوفة، وبعض الألعاب تكون جائزة الفائز فيها ظهور صورة عارية، ووجود الصور أو الرسومات الخليعة، كما هو الغالب على كثير من الألعاب، مما يُهَيج غرائز الناشئة ويقودهم إلى صور متعددة من الفساد.. وكذلك إفساد الأخلاق في مثل الألعاب التي تقوم فكرتها على النجاة بالمعشوقة والمحبوبة والصديقة من الشرير، أو التنين.

٤- الألعاب القائمة على فكرة القمار والميسر.

٥- التربية على العنف والإجرام، وتسهيل القتل وإزهاق الأرواح.

٦- الموسيقى، " ويحرم استعمال آلة كطنبور وعود وصنج، ... وسائر المعازف، وهي: آلات اللهو والأوتار؛ كالرباب، ... والكَمنْجَة وغيرها." (بداية المحتاج في شرح المنهاج، تأليف: بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي ابن قاضي شهبة، ٤/ ٤٨٩).

٧- الإضرار بالجسد كالإضرار بالعينين، أو الأعصاب، وكذلك المؤثرات الصوتية الضارة بالأذن، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ هذه الألعاب تُحدث إدمانًا، وإضرارًا بالجهاز العصبي، وتُسبب التوتر والعصبية لدى الأطفال.

ولقد جاءت الشريعة بدرء المفاسد الدينية والدنيوية، وجَلْب المصالح، فمتى اشتملت اللُعبة على مخالفات شرعية، أصبحت مُحَرمة بسببها، ويجب على الدولة، والمختصين، والآباء والأمهات، حماية الأطفال، وصيانتهم من هذه الألعاب التي تُضر بعقولهم، وبدينهم، وبأخلاقهم، بأخذ الاحتياطات اللازمة لذلك. فهناك غزو ثقافي مُدَمِّر.

وكل لعبة دخلها شيء مفسد للدِّين والأخلاق؛ فهي لعبة مُحَرمة، فهذه الألعاب يحرم بيعها، وشراؤها، وصناعتها، واللعب بها، وإهداؤها، واستيرادها.

وعند تطبيق القواعد الفقهية على هذه الألعاب الإلكترونية، نجد أنها تشتمل على أضرار، والضرر يُزال، وأنها لا تخلو من مفاسد ومُنكرات، حيث إنها تُفسد العقل والدِّين والخُلُق، وعليه فإنَّ حُكْمها المنع والحظر والتحريم؛ لأنّ درء المفاسد مُقَدم على جَلْب المصالح، والوسائل لها أحكام المقاصد.. والحُكم على الألعاب الإلكترونية يتعلق بمحتوى كل لعبة، فما كان فيها - أو يَغلب عليها - مخالفات شرعية متعلقة بالمقاصد الخمسة، التي جاءت الشريعة بحفظها فيحرُم اللعب بها، وما لم تكن فيها مخالفة فتبقى على الإباحة.

وإذا خَلت اللُعبة من هذه المحظورات أو تَمَكّن اللاعب من تلافيها فلا مانع منها، وعادت إلى صورتها النقية، وكانت سببًا للهو المباح في حدود الضوابط الشرعية، إلا إذا قارن هذا اللعب شيءٌ مُحَرم كأن يحتوي على: رهان بين اللاعبين أو إضاعة للصلاة والواجبات، ...

ولقد صدرت فتوى من مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية بخصوص تحريم بعض الألعاب الإلكترونية وهي: لعبة الحوت الأزرق، وببجي، ومومو، وفورتنايت؛ لأنها تشتمل على كثير من الأمور المُحَرَّمة مثل إهانة المقدسات، والقتل، والانتحار. (رابط الفتوى وقد صدرت بتاريخ ١/ ٣/ ٢٠١٩م وبتاريخ ٢٩/ ٦/ ٢٠٢١م؛

والحمد لله رب العالمين.

منهيات صلاة الجمعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث موصولاً عن صلاة الجمعة، وما يتعلق بها من أحكام ومسائل، وقد تكلمنا في اللقاء السابق عن منهيات صلاة الجمعة، وذكرنا منها أربعة منهيات؛ وهي إطالة الخطبة حتى يشق على المأمومين، ورفع الخطيب يديه إذا دعا، والتحلق قبل صلاة الجمعة، وتخطي الرقاب.

ونواصل في هذا اللقاء الحديث عن منهيات صلاة الجمعة، وما يتعلق بها من أحكام ومسائل.

إعداد د. حمدي طه

خامسا: رفع الصوت بالدعاء أو بالتأمين وقت الخطبة:

وهذه من البدع التي عمّت في بعض بلاد المسلمين؛ حيث يقوم المؤذن أو بعض رفقته برفع صوته بين الخطبتين بدعاء مطرّب وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ويقع جزء كبير من إثم ذلك على أهل العلم الذين لهم كلمة مسموعة لدى العامة، ومع ذلك يسكتون عن هذه المنكرات.

قال الإمام الدردير في الشرح الصغير ١٨٢/١: "ومِن البدع المحرمة ما يقع بدِكّة المبلغين بالقطر المصري من الصريخ على صورة الغناء والترنم، ولا ينكر عليهم أحد من أهل العلم، ومن البدع المذمومة أن يقول الخطيب الجهول في آخر الخطبة الأولى: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، ثم يجلس فتسمع من الجالسين ضجة عظيمة يستمرون فيها حتى يكاد الإمام أن يختم الثانية، وعلى دكة التبليغ جماعة يرفعون أصواتهم جداً بقولهم: آمين، آمين يا مجيب السائلين إلى آخر كلام طويل، وهكذا فإنا لله وإنا إليه راجعون".

سادسا: اللغو وقت الخطبة:

قال البهوتي في كشاف القناع ٤٧/٢: "ويحرم الكلام في الخطبتين والإمام يخطب ولو كان الإمام غير عدل لقوله تعالى «وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الأعراف:٢٠٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قلت لصاحبك:

أنصت، يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت" أخرجه الجماعة. قال الإمام الترمذي: والعمل عليه عند أهل العلم، كرهوا للرجل أن يتكلم والإمام يخطب.

والمراد أنه يحرم ثواب الجمعة وليس المراد أن جمعته لا تصح.

ويستثنى من وجوب الإنصات حالات منها، وقد تقدم الكلام علي كل ذلك عند كلامنا على حكم الإنصات للخطبة فليراجع.

سابعاً: جعل يوم الجمعة عطلة تعظيماً:

وهذا من اتباع سنن الكفار الذين جعلوا ميلاد أنبيائهم وصالحيهم أعياداً وعُطلاً لا يعملون فيها، ويظن كثير من المسلمين أن من تعظيم شعائر الله أن تكون العطلة الأسبوعية يوم الجمعة، وقد يعتبر بعضهم ذلك توجهاً إسلامياً، وهذا خطأ وخلل، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!"

أما نحن المسلمين فقد أباح الله عز وجل العمل يوم الجمعة ورغبنا في ابتغاء فضل الله فقال تعالى: « فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »سورة الجمعة آية ١٠. لكن إذا كان ترك العمل من أجل أن يتمكن من القيام بمستحبات الجمعة كأن يغلق متجره مبكراً من أجل الغسل والتهيؤ ونحو ذلك فهذا حسن مرغوب.

وبهذا يظهر الفرق بين دين الإسلام الذي ارتضاه الله لنا والذي يجعل العمل الحلال المشوب بذكر الله عبادة يحبها الله ورسوله، وبين الأديان المحرفة الباطلة المصادمة للفطرة الإنسانية، ولذلك اعتبر العلماء ترك العمل يوم الجمعة من المكروهات إذا قصد به تعظيم يوم الجمعة، فقد روى أشهب عن مالك في العتبية أن الصحابة كانوا يكرهون ترك العمل يوم الجمعة على نحو تعظيم اليهود السبت والنصارى الأحد تنوير الحوالك: ١٢٢ لجلال الدين السيوطي فعند المالكية: "يكره ترك العمل يوم الجمعة إذا تركه تعظيما كما يفعله أهل الكتاب لسبتهم وأحدهم وأما تركه للاستراحة فمباح وتركه للاشتغال بأمر الجمعة من تنظيف ونحوه فحسن يثاب عليه. انظر شرح الخرشي علي مختصر خليل ٥/٢٢٠.

ثامناً: الاحتباء والإمام يخطب:

يكره الاحتباء أثناء الخطبة، قال ابن الأثير في النهاية: الاحتباء هو: أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليها وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب. وهذا ما ذهب إليه الشّافعيّة، حيث صرّحوا بكراهته. قال النّوويّ: والصّحيح أنّه مكروه: فقد صحّ في سنن أبي داود والترمذي، أن رسول الله (نهى عن الاحتباء والامام يخطب)، وقال الخطّابيّ من أصحابنا: نهى عنه لأنّه يجلب النّوم، فيعرّض طهارته للنّقض ويمنعه من استماع الخطبة. انظر روضة الطالبين ٢/٨٤ بتصرف يسير.

والحديث المذكور هو من رواية سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعاً، أخرجه أحمد: ١٥٥٦٧. وأبو داود وقد ضعفه بعض أهل العلم بالحديث، وحسنه الشيخ الألباني.

وذهب أكثر الفقهاء إلي عدم الكراهة ونقل ابن المنذر عن الشافعي أنه لا يُكره، ونقله ابن المنذر عن ابن عمرو بن المسيب والحسن البصري وعطاء وابن سيرين وأبي الزبير وسالم بن عبد الله وشريح القاضي وعكرمة بن خالد ونافع ومالك والتوري والأوزاعي وأصحاب الرأي وأحمد وإسحق وأبي ثور، وأجابوا عن أحاديث الباب أنها كلها ضعيفة. انظر المجموع للنووي ٤/٥٩٢.

قال أبو داود: وكان ابن عمر يحتبي والإمام يخطب وأنس بن مالك وشريح وصعصعة بن صوحان وابن المسيب والنخعي ومكحول وإسماعيل بن محمد بن سعد، ونعيم بن سلامة قال أبو داود: ولم يبلغني أن أحدًا كرهها إلا عبادة بن نسي. انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٣/٣٠٨.

وعلق الشيخ الألباني علي كلام أبي داود بقوله: (قول أبو داود: كان ابن عمر يحتبي والإمام يخطب وأنس بن مالك..... لا بأس بها) لم أر من وصل ذلك عنهم. صحيح وضعيف سنن أبي داود٣/١١١.

قال الإمام ابن قدامة من الحنابلة: والأولى تَركه لأجل الخبر وإن كان ضعيفًا، ولأنه يكون متهيئًا للنوم والوقوع وانتقاض الوضوء، فيكون تركه أولى والله أعلم، ويُحمل النهي في الحديث على الكراهة ويحمل أحوال الصحابة الذين فعلوا ذلك على أنهم لم يبلغهم الخبر. المغني٢/١١٣.

تاسعاً: أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه:

والأصل في ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه (نهى أن يُقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا) متفق عليه.

وقوله: (لا يقيم) بصيغة الخبر والمراد النهي. وفي لفظ لمسلم: (لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه) بصيغة النهي المؤكد.

وعن جابر رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يقيم أحدكم يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده ولكن ليقل أفسحوا) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به) رواه مسلم.

وعن وهب بن حذيفة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الرجل أحق بمجلسه وإن خرج لحاجته ثم عاد فهو أحق بمجلسه) رواه أحمد.

فمن سبق إلى موضع مباح سواء كان مسجدًا أو غيره في يوم جمعة أو غيرها لصلاة أو لغيرها من الطاعات فهو أحق به، ويحرم على غيره إقامته منه والقعود فيه إلا أنه استثني من ذلك الموضع الذي قد سبق لغيره فيه حق؛ كأن يقعد رجل في موضع ثم يقوم منه لقضاء حاجة من الحاجات ثم يعود إليه فإنه أحق به ممن قعد فيه بعد قيامه؛ لحديث أبي هريرة وحديث وهب بن حذيفة المذكورين.

عاشراً: المجازفة في مدح السلاطين الظلمة:

من أقبح المخالفات أن يمدح الخطيب حاكماً ظالماً فيصفه بالعدل، أو مرتداً فيخلع عليه رداء إمرة المؤمنين، أو يبالغ في وصفه بإقامة أحكام الإسلام، وقد يصل الأمر إلى أن يدعو بالهلاك على من خالفه إلى آخر ذلك من التملق لقاء عرض من الدنيا قليل. وقد ذكر الإمام النووي من مكروهات الخطبة: (المجازفة في أوصاف السلاطين في الدعاء لهم وكذبهم في كثير من ذلك كقولهم: السلطان العالم العادل ونحوه) المجموع ٤/٥٢٩. والكراهة هنا ينبغي أن تكون تحريمية لا تنزيهية، إذ لا أحد يقول بأن الكذب مكروه ليس بحرام.

وأما مجرد الدعاء للسلطان بدون مدح بالباطل فقد اختلف فيه أهل العلم: فذهبت الأحناف وأكثر المالكية إلى أنه محدث مكروه. قال ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق ٢/١٦٠: "وأما الدعاء للسلطان في الخطبة فلا يستحب لما روي أن عطاء سئل عن ذلك فقال: إنه محدث، وانما كانت الخطبة تذكيراً"، وقال العدوي الدردير المالكي في الشرح الكبير ١/٦١٥: إن الدعاء للسلطان مكروه إلا أن يخاف على نفسه.

وذهبت الحنابلة إلى جواز الدعاء للسلطان في الخطبة؛ لأن في صلاحه صلاح المسلمين، فالدعاء له في الحقيقة دعاء لهم، ولأن الدعاء لمعين في الصلاة جائز ففي الخطبة أولى، قال في المغني ٣/١٨١: "وإن دعا لسلطان المسلمين بالصلاح فحسن؛ وقد روى ضبة بن محصن أن أبا موسى كان إذا خطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، يدعو لعمر وأبي بكر... " وأثر أبي موسى رواه ابن بلبان المقدسي في تحفة الصديق وهو موضوع.

لكن إن دعا الخطيب بين الحين والحين فلا بأس بالشرط المذكور وهو أن لا يصفه بما ليس فيه، وذلك لأن باب الدعاء واسع، وإنما قلنا بين الحين والحين لئلا تظن العامة أن الدعاء للسلاطين في الخطبة سنة مأثورة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين

المعازف

إعداد **د. متولي البراجيلي**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد: تكلمت في الحلقات السابقة عن تعريف المعازف والأحاديث الواردة فيها، وأجبت على النقد الموجه لحديث هشام بن عمار عن المعازف في صحيح البخاري، من ناحية السند، ومن ناحية المتن أجبت على النقد الموجه له، كالتالي:

١- عدم الاتفاق على معنى كلمة المعازف.

٢- ضعف دلالة الاقتران.

٣- أن الاستحلال هو اعتقاد حلّ ما حرّمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- أن التحريم في الحديث لاجتماع المذكورات الأربعة فيه.

٥- أن الوعيد على شرب الخمر والمعازف تابعة له.

٦- أن الدف من المعازف، وقد جوّزه المشرع، وهذا يعارض حرمة المعازف.

٧- أن المشرع أباح الغناء للنساء، وغناؤهن أشد تأثيرًا في النفس من المعازف.

٨- أن الأصل في الأشياء الإباحة، والمعازف من ذلك.

٩- لم يكن من المعازف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الدف فقط، ولذا جوزه صلى الله عليه وسلم.

١٠- أن الكلام عن المعازف هو مجرد إخبار عن علامات الساعة، وليس تشريعًا.

١١- النبي صلى الله عليه وسلم مدح صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قراءة القرآن وقال له: "لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داوود"، ولو كان المزمار حرامًا ما شبَّه به النبي صلى الله عليه وسلم تلاوة القرآن.

١٢- القول بأن فريقًا من السلف يميل إلى الاستماع كالحسن البصري، وفريقا لا يميل إليه كالشعبي.

وأستكمل البحث بإذن الله تعالى.

شبهات المبيحين للمعازف:

١- القول بأن المعازف حلال ما لم تُثر الغريزة الجنسية: فهل يصح أن يكون هذا قيدًا للتمييز بين الجائز والممنوع من المعازف، ومن الذي سيحدد، هل هذا يثير

الغريزة أم لا؟ فهذا أمر نسبي لا يُستطاع ضبطه، فقد يختلف ما يثير من شخص لآخر، وقد يسمع من يشاء ما يشاء، ولا تستطيع أن تنكر عليه بحال؛ لأنه سيرد أن هذا لا يثير غريزتي.

فمثل هذا -لو سلمنا به- لا يصلح أن يكون قيدًا ضابطًا في الجواز والمنع.

وأين ذلك من قاعدة سد الذرائع، والتي هي من أصول الشريعة، في إغلاق كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الوقوع في المحرمات.

٢-القول بجواز الغناء والمعازف استدلالاً من حديث عائشة رضي الله عنها، التالي، قالت رضي الله عنها: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام منى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالمدينة، وعندي جاريتان من جواري الأنصار، وليستا بمغنيتين تضربان بدفين، وتغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج، فاضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وحوَّل وجهه وتسجَّى بثوبه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرهما، وقال: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال: "دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد، إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا" قالت: فلما غفل، غمزتهما فخرجتا (البخاري ومسلم وغيرهما).

تقاولت به الأنصار: خاطب بعضهم بعضًا به، أي بالشعر.

يوم بعاث: كان قبل الهجرة، دار فيه القتال بين الأوس والخزرج، وبعاث: اسم مكان على بعد ميلين من المدينة.

استدلالهم من الحديث:

قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أبي بكر رضي الله عنه أنه انتهرهما، وبالتالي فإن الغناء والمعازف مباحان، وإلا ما سكت عنهما النبي صلى الله عليه وسلم، وما انتهر أبا بكر رضي الله عنه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر حرامًا أو مكروهًا ويسكت عنه.

الرد على ما استدلوا به من الحديث:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا"؛ فهل يستدل من ذلك على الجواز؟ إن هذا من باب المباحات الجائزة في بعض المناسبات كالعرس والعيد وغيرهما فلهم أحكام تخالف سائر الأيام من التوسع في المباحات؟

بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم سمح بلعب الأحباش بالحراب في المسجد كما بحديث عائشة رضي الله عنها: كان الحبش يلعبون بالدرق والحراب يوم عيد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا جارية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم.

فأقامني وراءه على الباب خدي على خده ورأسي على منكبه وسترني بردائه، فجعلت أنظر إلى لعبهم، إذ دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فزجرهم، وأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعهم يا عمر فإنما هم بنو أرفدة، لتعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة. دونكم بني أرفدة، قالت: فما زلت أنظر إليهم حتى إذا مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي. قالت: فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن الحريصة على اللهو (البخاري ومسلم وغيرهما)

الدرقة: الترس من جلد.

بنو أرفدة: قيل هو اسم لهم، أو اسم للعبهم.

العربة: هي الحريصة على اللهو.

الحديثة السن: القريبة العهد بالصغر).

فإنكار عمر رضي الله عنه على الحبشة وهم يلعبون في المسجد، هو كإنكار أبي بكر على الجاريتين وهما تغنيان في يوم العيد؛ فهذا يدل على أن بعض الأمور التي إن فُعلت في غير أيام العيد فهي تخالف الأولى، وأنه يجوز فعلها في أيام العيد من باب البهجة والسرور.

٢- كان الجاريتان صغيرتين في السن؛ وذلك لأن عائشة رضي الله عنها كانت صغيرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسرب إليها الجواري الصغيرات ليلعبن معها.

٣- الغناء كان بالدف، والضرب بالدف مباح في الأعراس والأعياد وغيرها بين النساء والأطفال، فلا وجه للاستدلال منه على جواز غير الدف من المعازف.

٤- تغنيان بشعر مما قاله الأنصار في يوم حرب بعاث، فماذا تظن أن يكون هذا الشعر وما يقال فيه.

٥- ليستا بمغنيتين، ليستا محترفات غناء، وإنما هن أطفال صغار يلعبن.

٦- قول أبي بكر رضي الله عنه: "أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم مقالته، بل وجّهه إلى أن إقراره صلى الله عليه وسلم جاء لعدة أمور:

١- أنهن صغيرات.
٢- أنهن يضربن بالدف.
٣- يقلن كلامًا (شعرًا) حماسيًا عن الحرب.
٤- أنهن في يوم عيد.

يقول ابن القيم: "فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسميته الغناء مزمار الشيطان، وأقرهما؛ لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل يوم حرب بعاث عن الشجاعة والحرب، وكان اليوم يوم عيد" (إغاثة اللهفان: ١/٢٥٧).

وقال الحافظ ابن حجر: "دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا"؛ ففيه تعليل الأمر بتركهما لهما وإيضاح خلاف ما ظنه الصديق من أنهما فعلتا ذلك بغير علمه صلى الله عليه وسلم، لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه فظنّه نائمًا، فتوجه له الإنكار على ابنته من هذه الأوجه مستصحبًا لما تقرر عنده من منع الغناء واللهو، فبادر إلى إنكار ذلك قيامًا عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك مستندًا إلى ما ظهر له، فأوضح له النبي صلى الله عليه وسلم الحال وعرّفه الحكم مقرونًا ببيان الحكمة، بأنه يوم عيد، أي يوم سرور شرعي، فلا يُنكر فيه مثل هذا، كما لم ينكر في الأعراس وبهذا يرتفع الإشكال.... (فتح

الباري: ٢/٤٤٢).

وإن كنت أستبعد ظن أبي بكر رضي الله عنه نوم النبي صلى الله عليه وسلم مستغرقًا، بحيث لا يسمع غناءً على الدف؛ ولأن عائشة رضي الله عنها لا تفعل ذلك، إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نائمًا، فضلاً عن أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستغرق في النوم بهذه الطريقة.

٣- استدلالهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما على جواز المزمار. الحديث عن نافع قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما فسمع صوت زمارة راع، فأدخل إصبعيه في أذنيه، وعدل عن راحلته عن الطريق، وهو يقول يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي، حتى قلت: لا. فرفع إصبعيه من أذنيه، وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع، فصنع مثل هذا (سنن أبي داود، وابن ماجه، ومسند أحمد، وصححه الألباني، والأرناؤوط في المسند).

يقول ابن حزم: فلو كان حرامًا ما أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر سماعه، ولا أباح ابن عمر لنافع سماعه، ولكن عليه السلام كره كل شيء ليس من التقرب إلى الله تعالى، كما كره الأكل متكئًا... فلو كان ذلك حرامًا لما اقتصر عليه السلام أن يسد أذنيه عنه دون أن يأمر بتركه وينهى عنه.

الرد على ما استدلوا به من الحديث:

قال الحافظ ابن عبد الهادي: وتقرير الراعي لا يدل على إباحته؛ لأنها قضية عين، فلعله سمعه بلا رؤية، أو بعيدًا منه على رأس جبل أو مكان لا يمكن الوصول إليه، أو لعل الراعي لم يكن مكلفًا، فلم يتعين الإنكار عليه. وسماع نافع للمزمار لا إشكال فيه؛ إذ المحرم هو الاستماع لا مجرد السماع عن غير قصد (انظر تحريم آلات الطرب: ص١١٨).

يقول ابن تيمية: "فإن من الناس من يقول -بتقدير صحة هذا الحديث-: لم يأمر ابن عمر بسد أذنيه، فيجاب بأنه كان صغيرًا، أو يجاب بأنه لم يكن يستمع، وإنما كان يسمع، وهذا لا إثم فيه، وإنما النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك طلبًا للأفضل والأكمل كمن اجتاز بطريق فسمع قومًا يتكلمون بكلام محرم فسدَّ أذنيه كي لا يسمع فهذا أحسن، ولو لم يسد أذنيه لم يأثم بذلك، اللهم إلا إن كان في سماعه ضرر ديني لا يندفع إلا بالسد" (مجموع الفتاوى: ١١/٥٦٧).

يقول الألباني: "إن ابن حزم كأنه يتصور أن الراعي الزامر كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ليأمره وينهاه، وليس في الحديث شيء من ذلك، بل لعله فيه ما قد يشعر بخلافه وهو أنه كان بعيدًا لا يُرى شخصه وإنما يُسمع صوته. ويقول: فالحقيقة أنه لا دليل فيه ألبتة، بل إن فيه دليلاً على كراهة النبي صلى الله عليه وسلم لصوت مزمار الراعي، وهي بلا ريب كراهة شرعية، يدخل في عموم قوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة). ولذلك اتبعه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فوضع إصبعيه في أذنيه مع عدم وجود القصد...

ولهذا قال ابن الجوزي رحمه الله: "إذا كان هذا فعلهم في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم". (انظر: تحريم آلات الطرب ص١٠٦-١١٩).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الأسرة المسلمة وغلاء المعيشة

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وهداه، وخلق الأرض وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها، كما أنه سبحانه جل شأنه تكفل بأرزاق خلقه أخذوا بالأسباب أو لم يأخذوا، وسعَوْا كثيرًا أو قليلاً؛ فَـ"ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها"، وهو سبحانه الذي يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، كما أنه لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها، كل في كتاب مبين. بل إن الله تعالى سأل عباده لتأكيد تلك المعاني قائلاً جل وعلا: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ "(فاطر:٣).

فلما كان مستقرًا عند جميعهم أنه لا رازق غيره قال سبحانه لهم: " إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ "(العنكبوت/١٧).

وفي هذه الأيام التي نعيشها أصاب الناس بعض غلاء، وضجَّ الناس كثيرًا من هذا الغلاء، وإلى هذا الحد فالأمر طبيعي، لكن غير الطبيعي، أن يُحمِّل الناس بعضهم بعضًا هذه الأزمة، ويصل الأمر بهم إلى تعليق إزالة هذا البلاء والغلاء على حكامهم ومسؤوليهم. ويطالبونهم ببذل المجهود لرفع هذا الضر والبلاء، نعم على المسئولين بذل المجهود الكبير في علاج هذا الأمر بضبط الأسباب الصحيحة المؤثرة في رفع هذا البلاء من اختيار أهل الإختصاص الأكفاء والأمناء والخبراء بعلاج هذه النوازل، يسبق ذلك كله التركيز علي إرضاء الله تعالى بجعل شريعة الله سبحانه واقعًا ملموسًا في حياة الناس، وكف الرعية عن ما يغضب الله بفعل المحرمات والوقوع في الذنوب التي تحرم وصول الرزق لهم، كما قال النبي صلي الله عليه وسلم: إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، أما كشف الضر بالكلية فلا طاقة للمخلوق وحده به. فأين الله تعالى الذي قال:" وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا

فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ "(النحل/٥٣ـ ٥٤)

وقال تبارك وتعالى: " وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(الأنعام/١٧)

وقد يكون بعض الناس بتقدير الله سببًا في حدوث شيء من الغلاء وقد لا يكون، لكن ذلك بإرادة الله تعالى وكتابته عليهم ذلك، لأنه كما قال سبحانه: " مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ". (فاطر:٢). إذَن مفتاح الرزق ومغلاقه بيد العليم الخبير، الحكيم القدير. فهو سبحانه الذي يقدِّر الغلاء إما رفعًا لدرجات الناس، وإما عقوبة على خطاياهم، وفي كلٍ خير، فالعقوبة تكفَ غضب الرب، وتكفّر خطايا المخطئين. وقد حدث كل هذا منذ بدء التاريخ الإسلامي وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

صور من الغلاء منذ فجر الإسلام:

أولاً: في العهد النبوي: ففي سنن ابن ماجه ح٢٢٠٠ وصححه الألباني. عَنْ أَنَس بْنِ مَالكٍ، قَالَ: غَلاِ السّعْرُ عَلَى عَهْدَ رَسُولِ اللّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه قَدْ غَلاَ السّعْرُ فَسَعّرْ لَنَا، فَقَالَ: «إنَّ اللّه هُوَ الْمُسَعّرُ، الْقَابِضُ الْبَاسطُ الرَّازِقُ، إنّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلمَةٍ في دَم وَلاَ مَالِ».

قَال السندي رحمه الله تعالى في حاشيته على سنن ابن ماجه (٢/ ٢٠): قَوْلُهُ: (هُوَ الْمُسَعِّرُ) وهو الله الّذِي يُرَخّصُ الْأَشْيَاءَ وَيُغَلّيهَا.

وقال المباركفوري رحمه الله في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (٤/ ٤٥٢): (إنَّ الله هُوَ الْمُسَعّرُ) بتَشْديد الْعَيْنِ الْمَكْسُورَة؛ قَالَ في النِّهَايَة: أَيْ إنَّهُ هُوَ الَّذي يُرَخّصُ الْأَشْيَاءَ وَيُغْلِيهَا فَلاَ اعْتِرَاضَ لأحدِ، ولذَلكَ لاَ يَجُوزُ التَّسْعيرُ انْتَهَى.

وَإلْـزَام صَاحب السّلْعَة أَنْ يَبيعَ بمَا لاَ يَرْضَى به مُنَاف لقَوْله تَعَالَى: (إلاَّ أن تكون تجارة عن تراض) وَإلى هَذَا ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاء. ورُويَ عَنْ مَالكِ أَنَّهُ يَجُوزُ للْإمَام التَّسْعيرُ.

وفي وَجْه للشَّافعيَّة جَوَازُ التَّسْعير في حَالَة الْغَلاَء. انتهى.

ثانيًا: قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٤): وفي سنة ٢٠٧ من الهجرة النبوية في الخلافة العباسية غَلاَ السّعْرُ ببَغْدَادَ وَالْكُوفَة وَالْبَصْرَة، حَتَّى بَلَغَ سعر القفيز من الحنطة أربعين درهماً.

ثالثًا: وَفي سنَة ٣٣٤هـ وَقَعَ غَلاَءٌ شَديدٌ ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنانير والكلاب، وَكَانَ منَ النَّاس مَنْ يَسْرقُ الْأَوْلَادَ فَيَشْويهمْ ويأكلهم. وكثر الوباء في النَّاس حَتَّى كَانَ لا يَدْفنُ أَحَدٌ أَحَدًا، بَلْ يُتْرَكُونَ عَلَى الطُّرُقَات فَيَأْكُلُ كَثيرًا منْهُمُ الْكلاَبُ. البداية والنهاية ١١/ ٢٤١.

رابعًا: وفي سنة ٤٦٢هـ كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الْجيَفَ وَالْمَيْتَات وَالْكلاَب، فَكَانَ يُبَاعُ الْكَلْبُ بخَمْسَة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وَظُهرَ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُ الصّبْيَانَ وَالنّسَاءَ وَيَدْفنُ رؤوسهم وأطرافهم، ويبيع لحومهم، فقتل وأكل لحمه، وَكَانَت الْأَعْرَابُ يَقْدَمُونَ بالطَّعَام يَبيعُونَهُ في ظَاهر الْبَلَد، لاَ يَتَجَاسَرُونَ يَدْخُلُونَ لئَلاَّ يُخْطَفَ وَيُنْهَبَ منْهُمْ، وَكَانَ لاَ يَجْسُرُ أَحَدٌ أنْ يَدْفنَ مَيّتَهُ نَهَارًا، وَإنَّمَا يَدْفنُهُ لَيْلاَ خُفْيَةَ، لئَلاَّ يُنْبَشَ فَيُؤْكَلَ. البداية والنهاية ١٢/ ١٢١.

خامسًا: قال الإمام الذهبي: وفي سنة ٦٢٢هـ اشتدَّ الغلاءُ بالموصل والجزيرة جميعها، فأكل النَّاسُ الميتة والسَّنانير والكلابَ، ففقدَ الكلابُ

والسَنانير. إلى أن قال: واشتدَ الوباءُ، وكثر المـوْتُ والمرضُ، فكان يحمل على النعش الواحد عـدَة من الموتى. تاريخ الإسلام ت تدمري (١٢/٤٥).

سادسًا: قال ابن كثير رحمه الله: وفي سنة ٦٤٣هـ في دمشق عدمت الأمـوال وغلت الأسْعارُ جدًا، حتَى إنَهُ بَلغَ ثَمنُ الغرارَة ألف وستمائة، وقنطار الدقيق تسعمائة، والخبز كل وقيتين إلا ربع بـدرهـم، ورطـل اللحم بسبعة وبيعت الأمــلاك بـالـدقـيـق، وأكـلـت القطاط والـكـلاب والميتات والجيفات، وتمَـاوتَ النّاسُ في الطُرقَات وعجزُوا عن التَغْسيل والتَكْفين والإقبار، فكانُوا يُلْقُونَ مَوْتَاهُمْ في الآبـار، حتّى أنْتَنَت المَدينَةُ وَضَجِرَ النَّاسُ، فإنّا لله وإنّا إليْه رَاجِعُونَ. البداية والنهاية (١٣/١٩٥).

سابعًا: وفي سنة ٦٩٥ هـ وَفي مُسْتَهَلّ هـذه السَّنَة كَانَ الْغَلاءُ وَالْفَنَاءُ بديَار مصْرَ شَديدًا جدًّا، وقَـدْ تَفَانَى النَّاسُ إلاَّ الْقَليل، وكَـانُـوا يَحْفرُونَ الْحُفَيْرَةَ فَـيَـدْفـنُـونَ فيهَا الْفـئَـامَ مـنَ الـنَّـاس، وَالأسْعَارُ فِي غَايَة الْغَلاء، وَالأَقْـوَاتُ في غَايَة الْقلَّة وَالْغَلاء، وَالْمَوْتُ عَمَّالٌ، فَمَاتَ بهَا في شَهْر صَفَر مائَةُ أَلْـف وَنَحْوٌ منْ ثَلاثينَ أَلْفًا، وَوَقَعَ غَلاءٌ بالشَّام فَبَلَغَت الْغرَارَةُ إلَى مائَتَيْن، وجاء الخبر باشتداد الْغَلاء وَالْفَنَاء بمصْرَ حَتَّى قيلَ إنَّهُ بيعَ الْفَرُّوجُ بالإسْكَنْدَريَّة بستَّة وَثَلاثينَ درْهَمًا، وَبالْقَاهرَة بتسْعَة عَشَرَ، وَالْبَيْضُ كُلُّ ثَلاثَة بدرْهَم، وَأُفْنيَت الْحُمُرُ وَالْخَيْلُ وَالْبغَالُ وَالْكلابُ منْ أَكْل النَّاس لَهَا، ولم يبقَ شَيءٍ منْ هَذه الْحَيَوانَات يَلُوحُ إلاَّ أكَلُوهُ. ثُمَّ وَقَعَ الرُّخْصُ بالدّيَار المْصريَّة وَزَالَ الضُّرُّ وَالْجُوعُ في جُمَادَى الآخرة ولله الحمد. البداية والنهاية (١٣/٤٠٥).

ثـامـنًـا: قـال: وفي سنة ٧٤٣هـ في خلافة الخليفة المستكفي بالله سليمان العباسي وفي أوَاخــر هَـذَا الشَّهْر (ذي الحجة) غَـلاَ السّعْرُ جـدًّا وَقَـلَّ الْخُبْزُ وَازْدحَــمَ النَّاسُ عَلَى الأفْــرَان زَحْمَةً عَظيمَةً، وَبيعَ خُبْزُ الشّعير المخلوط بالزيوان والنقارة، وبلغت الغرارة بمائة ستة وَثَمَانينَ درْهَمًا، وَتَقَلّصَ السّعْرُ جدًّا حَتَّى بيعَ الْخُبْزُ كُلُّ رَطْل بدرْهَم، وَفَوْقَ ذَلكَ بيَسير، وَدُونَهُ بحَسَب طيبه ورَداءَتــه، فإنّا لله وإنّــا إليه راجعون. وكثر السؤال وجاع العيال، وضعف كثير من الأسباب وَالأحْـوال، وَلَكنَّ لُطْفَ الله عَظيمٌ فَإنَّ النَّاسَ مُتَرَقّبُونَ خيرًا هائلاً لَمْ يُسْمَعْ بمثْله منْ مُدَّة سنينَ عَديدَة، وَقد اقْتَرَبَ أَوَانُهُ، وَشَرَعَ كَثيرٌ منَ الْبلاد في حَصَاد الشَّعير وَبَعْض الْقَمْح مَعَ كَثْرَة الْفُول وَبَـوَادر التُّوت، فَلَوْلا ذَلـكَ لَكَانَ غَيْرَ ذَلكَ، وَلَكنْ لَطَفَ الله بعبَاده، وَهُوَ الْحَاكمُ الْمُتَصَرّفُ الْفَعَّالُ لمَا يُريدُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ. البداية والنهاية ٢٤١/١٤.

من أسباب وقوع البلاء:

قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧١): ما أذنب عبد ذنباً إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع رجعت إليه أو مثلها، وإن أصر لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة حتى تسلب النعم كلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وأعظم النعم الإيمـان، وذنـب الزنا والسرقة وشرب الخمر وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها. وقال بعض السلف: أذنبت ذنباً فحرمت قيام الليل سنة. وقال آخر: أذنبت ذنباً فحرمت فهم القرآن. وفي مثل هذا قيل:

إذا كنت في نعمة فـارعـهـا... فـإن المعاصي تزيل النعم.

وبالجملة فـإن المعاصي نـار النعم تأكلها كما تأكل النار الحطب، عياذاً بالله من زوال نعمته وتحوُّل عافيته.

والحمد لله رب العالمين.

قصة تقييم النبي صلى الله عليه وسلم الحِلبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية والتي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد الشيخ علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية -كما سنبين من التخريج- وذلك يجعل مَن لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) القصة كما سنبين من المتن جاء بها افتراء على النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فيه قصور علم أمته عن إدراك الخصائص الطبية التي في الحِلبة، وأن أمته لو تعلم ما لها في الحِلبة لاشتروها بوزنها ذهبًا، وهذا التقييم المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قدر قيمة الحلبة، وسنبين أنه كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣) ومن أهم الأسباب التي تحتّم علينا بيان حقيقة هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة وبيان علته، دفاعًا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أن الدكتور زغلول النجار -عفا الله عنا وعنه- جعل هذا الحديث الذي جاءت به قصة تقييم الحلبة إعجازًا علميًا من الإعجاز العلمي في السنة النبوية؛ حيث أورده في كتابه الذي عنون له: «الإعجاز العلمي في السنة النبوية».

ونحن لا نتناول اسمه ولا رسمه بل ذكرناه بما نشره، فالذي يهمنا هو الدفاع عن السنة النبوية، ولولا أن الدكتور نشر هذا الحديث في كل الوسائل الإعلامية من كتب وصحف، وقنوات فضائية تحت «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» لولا هذا ما نبهنا عليه، ولكنه بهذه الوسائل اشتهر وانتشر؛ فقد أورد هذا الحديث في كتابه: «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» (٩٣/٢١) ح(١٣) تحت عنوان «لو تعلم أمتي ما في الحِلبَة لاشتروها ولو بوزنها ذهبًا».

٤) ثم الذي يحتم علينا بيان حقيقة هذا الحديث الذي جاءت به قصة تقييم النبي صلى الله عليه وسلم الحِلبة والتي سنبين عارها ونكشف عوارها؛ أن الدكتور قال في كتابه: «الإعجاز العلمي في السنة النبوية» (١٦/١): «وهذا الجانب ألا وهو جانب

الإعجاز العلمي هو واحد من جوانب الإعجاز العديدة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو وحده يكفي لدحض دعاوى المبطلين وتشكيك المشككين في صدق رواة الأحاديث ودقة جامعيها». اهـ.

قلت: أي إعجاز علمي في حديث الحلبة يدل على صدق رواة أحاديث الحلبة ونحن سنبين كذبهم وشدة ضعفهم بأقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم.

٥) ونقول للدكتور عليك بالقاعدة التي يركز عليها أهل الحديث: «أثبت العرش ثم انقش»؛ حتى لا نفتح بابًا للطعن في السنة، ونحن لا ندري بما يسمى «الإعجاز العلمي للسنة النبوية»؛ حيث إن الدكتور كتب أكثر من خمسين سطرًا تحت الإعجاز العلمي ثم ختمه قائلًا: «وهذه الحقائق العلمية عن نبات الحلبة لم تتبلور إلا في القرن العشرين. وفي العقود المتأخرة منه على وجه التحديد، والسؤال الذي يفرض نفسه، مَن الذي علَّم المصطفى صلى الله عليه وسلم ذلك حتى ينطق بهذا الحديث المعجز غير الله تعالى؟ ومَن الذي كان يضطره إلى الخوض في قضية علمية لم تكن معروفة في زمانه، ولا لقرون كثيرة من بعده، كقضية الفوائد الطبية لنبات الحلبة لو لم يكن ذلك وحيًا أوحاه الله تعالى إليه ليفيد الناس بهذا العلم الذي يبقى إلى قيام الساعة شاهدًا له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبالرسالة». اهـ.

ثانيًا: المتن:

روي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو تعلم أمتي ما لها في الحِلْبَة لاشترتها ولو بوزنها ذهبًا».

ثالثًا: التخريج:

١) هذا الحديث أخرجه الإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٦/٢٠) ح(١٨٧) قال: «حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري، حدثنا عتبة بن السكن الفزاري، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو تعلم أمتي...» الحديث.

٢) وأخرجه الإمام الحافظ أبو نعيم في «الطب» (٦١٠/٢) ح(٦٥٠) قال: حدثنا سليمان بن أحمد به.

رابعًا: التحقيق:

هذا الحديث فيه علتان:

الأولى: سليمان بن سلمة الخبائري: قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٤٧٢/٢٠٩/٢): قال أبو حاتم: متروك لا يُشتغل به، وقال ابن الجنيد: كان يكذب ولا أحدث عنه، وقال النسائي: ليس بشيء، وقال ابن عدي: له غير حديث منكر. اهـ.

الأخرى: عتبة بن السكن الفزاري: قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٤٨/٤) (٥٤٩٢/١١٤١)، قال الدارقطني: متروك الحديث، وقال البيهقي: واهٍ، منسوب إلى الوضع. اهـ.

الاستنتاج: الحديث واهٍ موضوع لما فيه من كذَّاب ووضَّاع.

خامسًا: طريق آخر لحديث معاذ:

أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨٨/١) (٢٤/٢٤) قال: حدثنا الحسين بن عبد الله القطان، حدثنا جحدر، حدثنا بقية، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما لهم في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبًا». اهـ.

سادسًا: التحقيق:

١) قال الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٨٨/١): «ولا أعلم يرويه عن بقية غير جحدر». اهـ.

وقال ابن عدي: جحدر هو أحمد بن عبد الرحمن بن الحارث الكفرتوثي يُعْرَف بجحدر؛ ضعيف، ويسرق الحديث، وروى المناكير، وزاد في الأسانيد. اهـ.

قلت: وأخرج الحافظ ابن عدي في «الكامل» عشرة أحاديث منكرة من أحاديث جحدر مبينًا فيها زياداته في الأسانيد وسرقاته.

٢) علة أخرى: بقية وهو بقية بن الوليد الحمصي.

أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في «المرتبة الرابعة» رقم (١) وقال: «بقية بن الوليد الحمصي كان كثير التدليس عن

الضعفاء والمجهولين». اهـ.

قلت: ولقد بيّن الحافظ ابن حجر منهجه في الطبقات فقال: «الرابعة: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرّحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم عن الضعفاء والمجاهيل كبقية بن الوليد». اهـ.

قلت: وبقية في هذا الحديث لم يصرح بالسماع وقد عنعن وكان يدلس على الثقات ما أخذه عن المجاشع بن عمرو، وعمر بن موسى الوجيهي وغيرهما من الكذابين والوضاعين والمتروكين، كما قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٠٠)، وأقر هذا الإمام الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٣١/ ١٢٥٠) ثم نقل عن أبي مسهر قال: «أحاديث بقية ليست نقية، فكن منها على تقية»، ثم أورد له أحاديث باطلة ومنكرة وموضوعة يدلسها أسقط منها الكذابين والوضاعين في ترجمة أكثر من مائة وثمانين سطرًا وختمها بقول أبي الحسن بن القطان: «بقية يدلس عن الضعفاء، ويستبيح ذلك، وهذا إن صح مفسد لعدالته». اهـ.

فقال الإمام الذهبي بعقبها: «نعم والله، صح هذا عنه؛ إنه يفعله».

قلت: فالحديث من هذا الطريق موضوع باطل، ويزيد حديث معاذ وهنًا على وهن.

سابعا: رواية الحلبة في حديث عائشة:

وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بالصناعة الحديثية ويقول: إن الحلبة جاء من حديث عائشة فإليك حديث عائشة تخريجًا وتحقيقًا مبينًا عاره وكاشفًا عواره:

١) أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٥٩/٢) (٤٨٩/١٢٠) قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الخولاني الحمصي، وعلي بن إسحاق بن بردي قالا: حدثنا محمد بن يزيد المستملي، حدثنا حسين بن علوان حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو علمت أمتي ما لها في الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهبًا».

٢) وأخرجه الإمام الحافظ أبو نعيم في «الطب» (٦١١/٢) ح(٦٥١) قال: أخبرنا أحمد في كتابه، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا محمد بن يزيد المستملي، حدثنا حسين بن علوان به.

ثامنًا: التحقيق:

علة هذا الحديث: حسين بن علوان الكوفي. قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٤٤): «كان يضع الحديث على هشام بن عروة وغيره من الثقات وضعًا، لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب؛ كذَّبه أحمد بن حنبل، روى أحاديث إذا سمعها مَن ليس الحديث صناعته اتهمه بالوضع». اهـ.

قلت: وقال الحافظ ابن عدي في «الكامل»: «يضع الحديث»، وأخرج عن الإمام يحيى بن معين قال: «كذاب». اهـ.

تاسعًا: الإمام ابن القيم ونقد المتن:

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» ص(١١١): ونحن نُنَبِّه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا، ثم بيّن في الفصل (٨) الأمر الثالث من هذه الأمور فقال: «ومنها سماجة الحديث، وكونه مما يُسخَر منه كحديث: لو يعلم الناس ما في الحلبة لاشتروها بوزنها ذهبًا». اهـ.

قلت: وهو برقم (٦٣) من بين تسعة عشر حديثًا جعلها مثلًا لسماجة الحديث وكونه مما يُسخَر منه، ولقد جمعنا طرق هذا الحديث، وبينا عللها وما فيه من كذابين ووضاعين ومتروكين ومدلسين ومن يسرق الحديث، كل طريق يزيد الآخر وهنًا على وهن؛ فالحديث موضوع كذب مختلق، مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف بالدكتور زغلول النجار -عفا الله عنا وعنه- يقول: «هذا الحديث المعجز في قضية علمية هو وحي أوحاه الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبقى شاهدًا له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة». اهـ.

وأذكركم ونفسي بما بينته في الأسباب آنفًا «أثبت العرش ثم انقش»، حتى لا نقع تحت وعيد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» (صحيح البخاري ح١٠٩).

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ علي حشيش**

(٩٧٤): «إذا كان آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/١٥) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «فر عن ابن عمر».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث موضوع.

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لا بد من بيان معناه الاصطلاحي: «الموضوع» هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو «الموضوع»، وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة لعلم الحديث التطبيقي».

أولًا: التخريج:

الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٤٤٨) قال: أخبرنا عبدوس، أخبرنا ابن لال، أخبرنا علي بن سليمان بن محمد بن عبد السلام، حدثنا محمد بن يعقوب الأهوازي، حدثنا أبو الربيع الحارثي، حدثنا محمد بن الحارث، حدثني ابن البيلماني، عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان آخر الزمان...» الحديث.

ثانيًا: التحقيق:

علة هذا الحديث ابن البيلماني: قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٦٤/٢): محمد بن عبد الرحمن البيلماني يروي عن أبيه بنسخة شبيهًا بمائتي حديث كلها موضوعة، لا يجوز الاحتجاج به، ولا ذكره في الكتب إلا على جهة التعجب. اهـ.

قلت: ولقد أخرج الحافظ ابن حبان في اثني عشر حديثًا من هذه النسخة الموضوعة قال أخبرنا بهذه الأحاديث محمد بن يعقوب الأهوازي، قال حدثنا أبو الربيع عبد الله بن محمد بن يحيى الحارثي، حدثنا محمد بن الحارث، الحارثي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وابتدأها بحديث: «إذا كان آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء». وختم الاثني عشر حديثًا بحديث «الأبدال» بنفس السند قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال أربعون رجلًا يحفظ الله بهم الأرض كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه آخر، هم في الأرض كلها». اهـ.

ثم قال: «وكرهت ذكر المائتي حديث كلها؛ لأن فيما ذكرناه غنية لمن هذا الشأن صناعته عن الإكثار منها في الذكر». اهـ.

قلت: ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٨٢٧/٦١٧/٣) قول الإمام ابن حبان في ابن البيلماني وأقره ثم قال: وقال البخاري: «منكر الحديث»، وهذا المصطلح معناه عند الإمام البخاري قال: «كل مَن قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». نقله عنه ابن القطان كما في «الميزان» (٥/١).

من روائع الماضي

دعاء ليلة النصف من شعبان!

إعداد **أبي الوفاء محمد درويش**

رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد:

هل من السنة أن يجتمع المسلمون في المساجد بعد صلاة المغرب في ليلة النصف من شعبان ليقرءوا دعاءً خاصًا يلقيه عليهم الأئمة؟ وهل هذا الدعاء الخاص وارد في السنة؟

إن هذا الاجتماع لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على عهد خلفائه الراشدين ولا على عهد السلف الصالح، وإنما هو من البدع ومحدثات الأمور التي حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها.

فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وقد جاء في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد».

ولا شك أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وخلفائه لم يكن على هذا ولم يكونوا يجتمعون في هذا الوقت من هذه الليلة لقراءة هذا الدعاء ولا غيره، ولم يأت بذلك حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف، ولا رواه أحد من رواة الحديث، ولا جاء في كتاب من كتب السنة.

فما حرص المسلمين على عمل مردود عليهم لا يقبله الله ولا يثيب فاعليه؟ وما ثمرة عبادة يعلم صاحبها أنها لا تفتح لها أبواب السماء، ولا تنال حظًا من القبول؟ لأنها ليست مما كان عليه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وكل ما لم يكن عليه أمره من العبادات فهو مردود لا يظفر بشرف القبول.

هذا الاجتماع وما فيه بدعة ابتدعها المسرفون وأذاعوها، وطوَّع الجهل للناس قبولها، ففشت فيهم كما يفشو الوباء، وحتى صاروا يعتقدون أن هذا الدعاء يطيل العمر، ويوسع الرزق؛ ويكشف البلاء، وحتى صار من لم يتمكن من قراءته متشائمًا يتوقع حلول الأرزاء والنكبات في كل حين، وقد بلغ من حرص الناس عليه أن تاركي الصلاة الذين لم تخط أقدامهم أعتاب المساجد يؤمونها في هذه الليلة لا للصلاة ولكن للدعاء.

> ❝ ولا شك أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر، لا ليلة النصف من شعبان. ❞

وما هذه الليلة إلا كسائر ليالي العام لا تمتاز منها بشيء، والأحاديث الواردة في شأنها ليس فيها شيء يرتقي إلى درجة الحسن فضلاً عن الصحيح، بل كلها إما ضعيف واهٍ، وإما موضوع كما قرره أئمة هذا الشأن.

قال الحافظ أبو بكر بن العربي: «ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه». وأما الدعاء الذي يدعون به فلم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صاحب ولا أحد من أهل العلم يعرف، وفيه أكاذيب تحمل المؤمن على أن يربأ بنفسه عن أن يدعو به؛ وإليك البيان:

من عبارات هذا الدعاء قولهم: «في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم»، وهذا معنى باطل، لأنهم يقصدون: «ينقض فيها كل أمر حكيم ويبرم»، والأمر الحكيم لا ينقض.

ولا شك أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر، لا ليلة النصف من شعبان، والمعنى: يفرق بينه وبين الأمر الباطل بالعلم والقرآن الذي هو الفرقان، فمن أسند هذا الفضل إلى هذه الليلة فقد افترى على الله الكذب، وكفى به إثمًا مبينًا. وليلة القدر في رمضان يقينًا وليست في شعبان.

برهان ذلك قوله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ».

وقوله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ».

فإذا ألفت بين هذه النصوص علمت علم اليقين أن القرآن أنـزل في ليلة مباركة فيها يفرق كل أمر حكيم.

وأنه أنزل في ليلة القدر.

وأنه أنزل في شهر رمضان.

وإذًا تكون الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر.

وإذًا تكون هذه الليلة في شهر رمضان وإحدى لياليه.

وإذًا يبطل الدعاء بأن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شهر شعبان.

وإذًا يثبت كذب من يدعي ذلك.

ولا ينبغي لعبد مؤمن أن يوجه إلى الله دعاء مكذوبًا فإنه إثم، والله لا يقبل الدعاء بإثم ولا عدوان.

هذا وللدعاء آداب تنبغي مراعاتها:

منها: أن يكون بذلة وضراعة وانكسار،

ومنها: أن يكون خُفية بين العبد وربه، قال تعالى: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»، وقد فسر العدوان برفع الصوت بالدعاء، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَ ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا بصيرًا وهو معكم أينما كنتم».

فأين مراعاة هذه الآداب في هذا الدعاء؟

وقد بيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحوالاً وأوقاتًا يكون فيها الدعاء أقرب إلى الإجابة فلنتحرَها، ولنكثر من الدعاء فيها فذلك قَمِن أن يحقق لنا الإجابة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» رواه مسلم.

وروى الترمذي من حديث أبي أمامة قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات.

> “ولا ينبغي لعبد مؤمن أن يوجه إلى الله دعاء مكذوبا فإنه إثم، والله لا يقبل الدعاء بإثم ولا عدوان.”

والله تعالى يستجيب كل دعوة من العبد المسلم متى كانت خالصة بريئة من الإثم والكذب، فقد روى الترمذي من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».

وخير الأدعية ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا موردٌ لك ذروًا منها لعلك تدعو به حين تصفو نفسك وتسمو روحك.

فعن أنس قال: «كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». متفق عليه.

وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى». رواه مسلم.

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه أن يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني». وهذا دعاء جامع يجمع الدنيا والآخرة.

ومن أدعيته عليه الصلاة والسلام: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت أمانًا لي من كل شر».

هذا وفي ذلك الدعاء مآخذ أخرى لا أرى ما يدعو إلى الإفاضة فيها، فحسبي ما قدمت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عزاء واجب

تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية بخالص العزاء في وفاة فضيلة الشيخ عبد العزيز عاشور مُؤسِّس ورئيس أنصار السنة فرع عابدين. اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسل ذنوبه بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب النار.

عزاء واجب

تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية بخالص العزاء في وفاة فضيلة الشيخ عبد المعطي عبد المقصود محمد عبد الله مؤسس ورئيس فرع أنصار السنة بالإسكندرية.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسل ذنوبه بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب النار.

عزاء واجب

تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية بخالص العزاء في وفاة المهندس محمد السيد عبد السلام أخو فضيلة الشيخ عادل السيد من كبار دعاة أنصار السنة المحمدية.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسل ذنوبه بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب النار.

عزاء واجب

تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية بخالص العزاء في وفاة الشيخ أحمد محمد صابر عوض الله رئيس فرع أنصار السنة المحمدية برقة النوبة مركز بلبيس الشرقية.

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسل ذنوبه بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب النار.

التحذير من سوء الظن وعواقبه

إعداد
د. ماهر بن حمد المعيقلي
خطيب المسجد الحرام

الحمد لله، رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز عن تقصيرهم والزلل، امتن عليهم بالنعمة، وكتب على نفسه الرحمة، أحمده- سبحانه- وأشكره، وأثني عليه وأستغفره، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكا، ويحشر يوم القيامة أعمى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على الخلق أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

دعوة الشريعة الإسلامية لكل ما يزيد الألفة والمودة

أُمَّةَ الإسلام: لقد دعت الشريعةُ الإسلامية إلى كلِّ ما يُحقِّق معنى الأُخوَّة، ويَزيدُ في الألفة والمودة، ورتَّبَت الأجرَ والمثوبةَ عليه، ونهَتْ عن كلِّ ما يؤدِّي إلى الضغينة والفتنة، وسدَّت الطرقَ المفضية إليه، فمِنْ جُملة ما حذَّرَت الشريعةُ منه: سوءُ الظَّن؛ وهو التهمةُ بلا دليلٍ ولا بينة، والظنُّ السيءُ لا يُغني من الحق شيئًا، قال جلَّ وعلا: (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)(يُونُسَ: ٣٦)، وأمَر-سبحانه- باجتناب كثيرٍ من الظنِّ؛ احترازًا من الوقوع في الإثم، فكَمْ أوقَع سوءُ الظنِّ، منْ فراقٍ بينَ المتحابينَ، وخلافٍ بينَ المتشارِكينَ، وفسادٍ للعِشرَة، وانقطاعٍ للصحبة.

بعض حقوقِ المسلم على أخيه المسلم

مَعاشرَ المؤمنينَ: إنَّ حقَّ المسلم على إخوانه، أن يُظن به خيرًا، وأن يوثق به ويؤتمن، ولا يظن به سوءًا ولا يُخوَّن، ما دام الخيرُ ظاهرًا على أخلاقه، وأماراتُ الثقةِ باديةً على طباعه، فمَن شُوهد منه السترُ والصلاحُ، وأُونِسَتْ منه الأمانة

والفَلاحُ، فظنُّ الفساد به والخيانة محرَّمُ، ومَنْ ظنَّ به سوءًا فهو آثمٌ، وإنَّ منْ ثمرات حُسن الظنِّ أنَّه يُفضي إلى راحة البال وطمأنينة النفس، وسعادة القلب، وسلامة الصدر، وفيه امتثال لأمر النبيِّ-صلى الله عليه وسلم-؛ حيث قال: "إيَاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"(رواه البخاري ومسلم).

إخوةَ الإيمان: إنَّ الأصل في المسلم السلامةُ، ولا يُعدل عنها إلا بيقين، وليس من منهج الصالحين، تتبُّع العورات، والبحثُ عن الزلات والسقطات، والفرحُ بالعثَرات، وسوءُ الظنِّ بالمسلمين، فمن تلك سجيتُه، عرَّض نفسه لغضب الله وسخطه، وخزيه وفضيحته؛ ففي سُنن الترمذي أن النبي-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: "يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بلِسَانه، وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إلَى قَلْبه، لا تُؤْذُوا الْمُسْلمينَ ولا تعيروهم، وَلا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَن تتبع عورة أخيه المسلم تَتَبَّعَ اللَّه عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ ولو في جوف رحله".

العواقب الوخيمة لسوء الظن

إنَّ من يُعاملُ الناسَ بالظنون الكاذبة، حريٌّ أن تجتمعَ فيه الأحقادُ والضغائنُ، فتشوَّش عليه قلبَه، وتتنغَّص حياته، فتصبح معيشتُه ضنكا، وبصيرتُه عمياءَ، يلجأ إلى تأويلات وتخريصات، وتحليلات وتفسيرات، ويدَّعي أنَّ ذلك حصافةٌ وفطنةُ، وما علم أنَّه ضَرْبٌ من العبَث بالنِّيَات، ولا يزال المرءُ يستجيب لسوء ظنِّه، فيُعيِّب الناسَ بذكر مساوئهم وزلَّاتهم، ويُقبِّح أحوالهم، حتى يرى أنهم قد فسدُوا وهلكوا، والحقيقة أنَّه أسوءُ حالاً منهم؛ بما يلحقُه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وازدرائهم واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، ففي صحيح مسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّه-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ"، واذا كَان المرءُ لَيَصْعُبُ عليه معرفةُ نيته في عمله، فكيف يتسلَّط على نيَات الخلق؟!

فمَنْ أراد النجاةَ: ظنَّ السوء بنفسه، واجتهَد في إصلاح قلبه، وتزكية نفسه، وسلامة صدره؛ واشتَغل بعيوبه عن عيوب غيره، دخَل رجلٌ على أبي دُجانة-رضي الله عنه-، وهو في مرضه الذي مات فيه، ووجهُه-رضي الله عنه- يتهلَّل ويقول: "ما منْ عملٍ أوْثقُ عندي منْ شيئين: لا أتكلَّمُ فيما لا يَعنيني، وقد كان قلبي سليمًا"، وذكر البيهقي في مناقب الإمام الشافعي-رحمه الله- أنَّه قال: "مَنْ أحبَّ أن يُقضى له بخير، فليُحسنْ بالناس الظنَّ".

ولقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يذكر أصحابَه بعظَم حرمة المؤمن، وحسن الظن به؛ ففي سنن ابن ماجه، عن ابْنِ عُمرَ-رضي الله عنهما- قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا"، وكان يُربِّيهم-صلى الله عليه وسلم-، على سدِّ منافذ الشيطان، ونزع فتيل سوء الظنِّ؛ ففي الصحيحين: عَنْ جَابِرٍ-رضي الله عنه- قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّه-صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ"، وجاء رجلٌ إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-، وقد دخَلتْه الريبة، وأحاطتْ به ظنون السُّوء بزوجته؛ لأنَّها ولدتْ غلامًا ليس على لونها ولا على لونه، فأزال النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- ما في قلبه، بسؤاله عن لون إبله، فقال-صلى الله عليه وسلم-: "هلْ لكَ منْ إبلٍ؟"، قال: نعَمْ، قَالَ: "مَا أَلْوانُهَا؟" قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: "هَل فيهَا منْ أَوْرَقَ؟"-والأوْرَقُ من الإبل: هو الذي في لونه بياض إلى سواد-، قَال الرجل: نعَمْ، قال: "فَأَنَى كانَ ذلكَ؟"، قالَ: أَرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، فقال-صلى الله عليه وسلم-: "فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذا نَزَعَهُ عِرْقٌ"(رواه البخاري ومسلم).

وغضبَ-صلى الله عليه وسلم-، على أسامة بن زيد-رضي الله عنهما-، عندما قتَل مَنْ قال: لا إله إلا الله، متأوِّلاً في نيته؛ ففي (صحيح مسلم): قال صلى الله عليه وسلم لأسامة: "أَقَالَ لا إلَهَ إلَّا الله وَقَتَلْتَهُ؟" قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا منَ السِّلَاح، قال: "أفلا شققْتَ عنْ قلْبه حتَّى تَعْلَم أقالَها أمْ لا؟!"، أيْ: إنَّما كُلِّفتَ بمَا يَنْطقُ به اللِّسَانُ، وأمَّا الْجنَانُ، فليْسَ لكَ طَريقٌ إلى مَعْرِفَةِ مَا فيه، فالأحْكامُ يُعْمَلُ فيهَا بالظَّواهر، واللَّه-جلَّ جلالُه- يَتَوَلَّى السَّرائر، وفي الرواية الأخرى: دَعاهُ-صلى الله

عليه وسلم- فسأله، فقال: "لم قَتَلْتَهُ؟" قَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي المُسْلِمِينَ، وقَتَلَ فُلانًا وَفُلانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فلَمّا رَأى السَّيْفَ قالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أقَتَلْتَهُ؟" قالَ: نعَمْ، قالَ: "فَكَيْفَ تَصْنَعُ بلاَ إلهَ إلاّ اللهُ إِذا جاءَتْ يَوْمَ القيامَةِ؟"، قالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لي، قالَ: "وكَيْفَ تَصْنَعُ بلاَ إلَـهَ إلّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القيامَةِ؟"، قَـالَ: فَجَعَلَ لا يَـزِيـدُهُ عَلى أَنْ يَقُولَ: "كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟".

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)(الحُجُرات: ١٢).

بعض الأسباب المعينة على حسن الظن بالآخرين

مَعاشرَ المؤمنينَ: إنَّ من الأسبابِ المعينةِ على إحسانِ الظنِّ بالآخرينَ، حَمْلَ كلامهم وأفعالهم على أحسنِ المحاملِ، والتماسَ الأعذارِ لهم، وقد كثُرتْ أقوالُ السلفِ، في الثناءِ على حُسنِ الظنِ والحث عليه، قالَ الفاروقُ رَضيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه: "لا يَحِلُّ لامْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَسْمَعُ مِنْ أخيه كَلِمَةً يَظُنُّ بِها سُوءًا، وَهُوَ يَجِدُ لَهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الخَيْرِ مَخْرَجًا"؛ فالمسلم يحمل ما يصدر عن إخوانه من قول أو فعل، على محمل حسن، ما لم يتحول الظن إلى يقين جازم؛ فالله- عز وجل- أمَرنا بالتثبُّت فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(الحُجُرات: ٦)، فالأصلُ أنَّنا نُحسنِ الظنَّ بالناس، ما لم يتبيَّنْ بالقرائنِ خلافُ ذلك، ممَّن عُرفوا بالسوءِ والشرّ؛ ففي مسند الإمام أحمد: قـال عمر بـن الخـطـاب-رضـي الله عنه وأرضاه-: "مَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ مِنْكُمْ لَنَا شَرًا، ظَنَنَّا بِهِ شَرًا، وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ".

على المسلم أن يتقي مواضع التهم صيانة لسمعته

إخوةَ الإيمـان: فكما نُهِيَ المسلمُ عن سوءِ الظنِّ بإخوانه، فهو مأمورٌ بأن يتَّقي مواضعَ التُّهم؛ صيانةً لقلوب الناس عن سوءِ الظن به، ولألسنتهم عن الغيبة له، ففي الصحيحين، عَنْ صَفيَّةَ-رضي اللهُ عنها وأرضاها- قالت: كانَ النَّبِيُّ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعْتَكِفًا، فأتَيْتُهُ أزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لأنْقَلِبَ، فَقامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصارِ، فَلَمّا رَأَيا النَّبِيَّ-صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَسْرَعا، فقالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "عَلَى رِسْلِكُما؛ إنَّها صَفِيَّةُ"، فَقالا: سُبْحانَ اللهِ يا رَسُولَ اللهِ! قـالَ: "إِنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِـنَ الإنْسَانِ مَجْـرَى الـدَّمِ، وإنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُما شَرًا"؛ فلذلك أمرَ المسلمُ إذا سافرَ في رمضان، بأنْ لا يُجاهرَ بفطره أمامَ الناسِ، وإذا صلى فرضه، وجاء لجماعة يُصلُّونَ، فإنَّه يُصلِّي معهم وتكون له نافلة؛ ففي مسند الإمام أحمد، عن جابر بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ قالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَجَّتَهُ، قالَ: فَصَلَّيْتُ مَعَهُ صَلاةَ الفَجْرِ فِي مَسْجِدِ الخَيْفِ، فَلَمّا قَضَى صَلاتَهُ إذا هُوَ بِرَجُلَيْنِ فِي آخرِ المَسْجِدِ لَمْ يُصَلِّيا مَعَهُ، فَقالَ: "عَلَيَّ بِهِما"، فَأُتِيَ بِهِما تَرْعَدُ فَرائِصُهُما، قالَ: "ما مَنَعَكُما أَنْ تُصَلِّيا مَعَنا؟"، قَالا: يا رَسُولَ اللهِ، كُنّا قَدْ صَلَّيْنا فِي رِحالِنا. قالَ: "فَلا تَفْعَلا، إذا صَلَّيْتُما فِي رِحالِكُما، ثُمَّ أَتَيْتُما مَسْجِدَ جَماعَةٍ، فَصَلِّيا مَعَهُمْ، فَإنَّها لَكُما نافِلَةٌ".

اللهم اهدنا لأحسن الأخـلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّا سيئها، لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آلِ محمد، كما صليتَ على آل إبراهيمَ، وبارِكْ على محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على آل إبراهيمَ، إنكَ حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهمَّ عن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديينَ: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعن سائر الصحابة أجمعينَ، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم برحمتك يا أرحمَ الراحمينَ.

أولاد الأنبياء
بين البر والعقوق

إعداد الشيخ: صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الاسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

وبعد، نحاول أن نأخذ بعض النماذج من عقوق أولاد الأنبياء، وبر أولاد الأنبياء لنأخذ العظة والعبرة بهم.

أولا: من أمثلة عقوق أبناء الأنبياء:

(١) ابن سيدنا نوح عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود: ٤١- ٤٤).

(ونادى نُوحٌ ابنه وكَانَ فِي مَعْزِلٍ يا بني اركب مَّعَنا وَلا تَكُن مَّعَ الكافرين) تصوير لتلك اللحظة الرهيبة الحاسمة التي أبصر فيها نوح عليه السلام وهو منعزل عنه وعن جماعة المؤمنين والمعزل: مكان العزلة أي: الانفراد وقبل أن يشتد الطوفان وترتفع أمواجه، رأى نوح ابنه كنعان، وكان هذا الابن في مكان منعزل فقال له نوح بعاطفة الأبوة الناصحة الملهوفة يا بني اركب معنا في السفينة ولا تكن مع القوم الكافرين الذين سيلفهم

الطوفان بين أمواجه عما قريب. ولكن هذه النصيحة الغالية من الأب الحزين على مصير ابنه لم تجد أذنا واعية من هذا الابن العاق المغرور، بل رد على أبيه: «قَالَ سآوي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي» قال: سألتجئ إلى جبل من الجبال الشاهقة لكي أتحصن به من وصول الماء. (صفوة التفاسير ١٣/٢).

ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة والفتوة المغرورة لا تقدر مدى الهول الشامل (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء)؛ ثم ها هي ذي الأبوة المدركة لحقيقة الهول وحقيقة الأمر ترسل النداء الأخير: «قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم» لا جبال ولا مخابئ ولا حام ولا واق؛ إلا من رحم الله. نتيجة العقوق: قال تعالى: (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) الغرق والدمار والهلاك في كل وقت وحين.

(٢) أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام،

قال تعالى: «قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ» (يوسف: ١١- ١٤).

- «قالوا يا أبانا ما لكَ لا تأمَنَّا على يوسُفَ» المعنى أيُّ شيء حدث لك حتى لا تأمنا على أخينا يوسف، ونحن جميعاً أبناؤك؟ «وإنَّا لهُ لنَاصِحُونَ» أي ونحن نشفق عليه ونريد له الخير «أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ»؛ أي: أرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لذَّ وطاب ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره «وإنَّا لهُ لحَافِظُونَ» أي ونحن نحفظه من كل سوء ومكروه، أكَّدوا كلامهم بـ "إنَّ واللام" وهم كاذبون؛ «قَالَ إنِّي ليحزنني أن تَذْهَبُواْ بِهِ» أي قال لهم يعقوب: إنه ليؤلمني فراقه لقلة صبري عنه «وَأَخَافُ أن يَأْكُلَهُ الذئب وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ»؛ أي وأخاف أن يفترسه الذئب في حال غفلتكم عنه. (صفوة التفاسير ٣٨/٢).

قال تعالى: «وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ» (يوسف: ١٦- ١٨). وهكذا الباطل يَفضح نفسه، ويُخزى أهله..!

١- «وَجاؤُوا أَباهُمْ عِشاءَ يَبْكُونَ» وتلك أول أمارة من أمارات الكذب الذي جاءوا به.. إنهم جاءوا ملفعين في ظلام الليل، خوفًا من أن يفضحهم ضوء النهار.

٢- ثم كان البكاء فضيحة أخرى لهم.. إنَّه تباك وليس بكاء. والأذن قادرة على أن تميز التباكي من البكاء، وتفرق بينهما!.

٣- وقد عرف يعقوب هذه القصَّة الملفقة من أول لقاء ببنيه، ولأول كلمة سمعها منهم! وفي قولهم: «وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ» فضيحة ثالثة، تفضَح هذا الباطل، وتكشف عن هذا الزور.. إنهم يتهمون أباهم- مقدمًا- بأنه لن يقبل شهادتهم

٤- «وَجاؤُوا عَلى قَمِيصِه بِدَمٍ كَذِبٍ» والدم الذي جاءوا به هو دليل رابع على أن القصة ملفقة إذ من غير المعقول أن يأتي الذئب على كل أجزاء ضحيته وخاصة إذا كان غلامًا في سن يوسف الذي قيل إنه كان في العاشرة أو أكثر من عمره! قيل إن القميص الذي جاءوا به ملطخًا بالدم، كان سليما لم يمسّه الذئب المزعوم، بظفر أو ناب!. (التفسير القرآني للقرآن ١٢٤٤/٦).

٥- هذا قمة العقوق من خداع وكذب على الأب الذي أمنهم على أخيهم يوسف بعد أن أعطوا العهود.

ماذا فعل الأب بعد ذلك؟

(أ) الصبر: بعد الخداع والكذب من الأبناء وقتلهم يوسف أحب الأبناء إلى أبيهم: «قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ» (يوسف: ١٨).

(ب) الشكوى إلى الله تعالى: «قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (يوسف: ٨٦) يوسف.

ثانيا: من أمثلة بر أبناء الأنبياء:

(١) سيدنا إسماعيل مع والده سيدنا إبراهيم عليهما السلام:

قال تعالى: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ» (الصافات: ١٠٠- ١٠٧).

- «رَبِّ هَبْ لِي» ولدا يكون «مِنَ الصَّالِحِينَ» وذلك عند ما أيس من قومه، ولم ير فيهم خيرًا، دعا الله أن يهب له غلامًا صالحا، ينفع الله بهِ في حياته، وبعد مماته، فاستجاب الله له وقال: «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» وهذا إسماعيل عليه السلام بلاَ شكٍ، وصف الله إسماعيل، عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى.

«فَلَمَّا بَلَغَ» الغلام «مَعَهُ السَّعْيَ» أي: أدرك أن يسعى معه، وبلغ سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته فقال له إبراهيم عليه السلام: «إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» أي: قد رأيت في النوم والرؤيا، أن الله يأمرني بذبحك، ورؤيا الأنبياء وحي «فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى» فإن أمر الله تعالى، لا بد من تنفيذه «قَالَ» إسماعيل صابرًا محتسبًا، مرضيًا لربه، وبارًا بوالده: «يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ» أي: (امض) لما أمرك الله «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة اللَّه تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى.

«فَلَمَّا أَسْلَمَا»؛ أي: إبراهيم وابنه إسماعيل، جازما بقتل ابنه وثمرة فؤاده، امتثالاً لأمر ربه، وخوفًا من عقابه، والابن قد وطَّن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده، «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» أي: تل إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه، لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه. «وَنَادَيْنَاهُ» في تلك الحال المزعجة، والأمر المدهش: «أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ» أي: قد فعلت ما أمرت به، فإنك وطَّنت نفسك على ذلك، وفعلت كل سبب، ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» في عبادتنا، المقدمين رضانا على شهوات أنفسهم. «إِنَّ هَذَا» الذي امتحنا به إبراهيم عليه السلام «لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» أي: الواضح. (تفسير السعدى ١/٧٠٥).

(٢) سيدنا يحيى ووالده سيدنا زكريا عليهما السلام:

- قال تعالى: «يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» (مريم: ١٢- ١٥).

«وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً» أي فعلنا ذلك رحمة منا بأبوية وعطفاً عليه وتزكيةً له من الخصال الذميمة «وَكَانَ تَقِيَاً» أي عبداً صالحاً متقياً لله، «وَبَرَاً بِوَالِدَيْه وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيَاً» أي جعلناه باراً بأبيه وأمه محسناً إليهما ولم يكن متكبراً عاصياً لربه. (صفوة التفاسير ٢/١٩٥).

«بَرًّا بِوَالِدَيْه»: لم يكن عاقًا، ولا مسيئًا إلى أبويه، بل كان محسنًا إليهما بالقول والفعل. (تفسير السعدى ١/٤٩٠).

اللهم رَبِّ لنا أولادنا، وأعنَّا يا ربنا على تربيتهم... آمين.

مدخل إلى علم التفسير

خصائص التفسير النبوي

إعداد د. محمد عاطف التاجوري

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد ذكرت في المقالة السابقة من أنواع التفسير النبوي للقرآن: تخصيص العام وتقييد المطلق وبيان المجمل وتعيين المبهم، وذكرت أمثلة لكل نوع، ولما كانت هذه الألفاظ تحتاج إلى توضيح، فيحسن أن أوضح معانيها.

١) العام: لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر. (الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي- ج٢- ص ٣٠).

وقد ذكرت صيغ العموم في المقالة السابقة فنأخذ منها مثالاً يوضح هذا التعريف.

ففي قوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» (الرحمن: ٢٦). لفظ كل من صيغ العموم فهو يستغرق الصالح له من غير حصر، أي كل من على الأرض فهو فان بدون حصر معين لأي من هذه المخلوقات التي تفنى.

تخصيص العام:

هو صرف العام عن عمومه وإرادة بعض ما ينطوي تحته من أفراد. (تفسير النصوص في الفقه الإسلامي- د/ محمد أديب صالح- ج٢- ص ٧٨).

وهذا التخصيص يكون بدليل، متصل أو منفصل.

فالمتصل خمسة وقعت في القرآن:

أحدها: الاستثناء:

نحو: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ④ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» (النور: ٤، ٥).

وقوله تعالى: «وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ» (الشعراء: ٢٢٤) إلى قوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (الشعراء: ٢٢٧).

وقوله: «وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» إلى قوله: «إِلَّا مَن تَابَ» (الفرقان: ٦٨- ٧٠).

الثاني: الوصف: نحو: «وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ» (النساء: ٢٣).

الثالث: الشرط: نحو: «وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» (النور: ٣٣).

الرابع: الغاية: نحو: «وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ» (البقرة: ٢٢٢).

وقوله تعالى: «وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ» (البقرة: ١٩٦).

والخامس: بدل البعض من الكل: نحو: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (آل عمران: ٩٧). (الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي- ج٢- ص ٣٢، ٣٣).

أما دليل التخصيص المنفصل فهو: آية أخرى في محل آخر، أو حديث أو إجماع أو قياس.

ومن أمثلة التخصيص المنفصل بالقرآن: قوله تعالى: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»

(البقرة: ٢٢٨)؛ خُص بقوله: «إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا» (الأحزاب: ٤٩)، وبقوله: «وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» (الطلاق: ٤).

وقوله: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ» (النساء: ٣)، وخص بقوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» (النساء: ٢٣).

ومن أمثله التخصيص المنفصل بالحديث: قوله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» (البقرة: ٢٧٥)، خص منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة- بالسنة.

وآيات المواريث: خص منها القاتل والمخالف في الدين بالسنة وآية تحريم الميتة: خص منها الجراد بالسنة.

وآية: «ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» (البقرة: ٢٢٨)، خص منها الأمة بالسنة وقوله: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا» (المائدة: ٣٨)، خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة.

ومن أمثلة ما خص بالإجماع: آية المواريث، خص منها الرقيق، فلا يرث بالإجماع.

ومن أمثلة ما خص بالقياس: آية الزنا: «فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» (النور: ٢)، خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله تعالى: «فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ» (النساء: ٢٥). المخصص لعموم الآية. (الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي- ج٢- ص ٣٣، ٣٤).

العام على عمومه ما لم يخصص:

يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف: إذا ورد في النص الشرعي لفظ عام ولم يقم دليل على تخصيصه، وجب حمله على عمومه وإثبات الحكم لجميع أفراده قطعًا، فإذا قام دليل على تخصيصه وجب حمله على ما بقي من أفراده بعد التخصيص. (علم أصول الفقه- عبد الوهاب خلاف- ص ١٨١).

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: والعام قبل ظهور المخصص لا يمنع العمل به على مقتضى شموله، فإن العام لا يُهمل لاحتمال التخصيص، بل يستمر العام على عمومه حتى يقوم الدليل على التخصيص، فإن قام دليل على التخصيص عمل به. (أصول الفقه- محمد أبو زهرة- ص ١٥٣).

وقال الشيخ محمد صالح العثيمين: يجب العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه؛ لأن العمل بنصوص الكتاب والسنة واجب على ما تقتضيه دلالتها حتى يقوم دليل على خلاف ذلك، ثم قال في الشرح: يجب العمل بعموم اللفظ العام حتى يثبت تخصيصه، وعندنا دليل وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الحمُر قال: «لم ينزل علي فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (الزلزلة: ٧، ٨)»، فهنا استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم العمل بالعموم، فإذا العمل بالعموم واجب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عمل به وهو المشرع، فكأنه بعمله هذا يقول لنا اعملوا كذلك، وهذا تعليل عقلي. (شرح الأصول من علم الأصول- محمد صالح العثيمين- ص ٢٠٣. والحديث متفق عليه رواه البخاري برقم (٢٣٧١)، ورواه مسلم برقم (٩٨٧)).

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

إذا ورد العام على سبب خاص وجب العمل بعمومه؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومثال ذلك آيات الظهار في سورة المجادلة: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ② وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ③ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (المجادلة: ١-٤).

فسبب نزول هذه الآيات ظهار أوس بن الصامت من زوجته رضي الله عنها، ولا نقول: إن آيات الظهار لحل مشكلة هذا الرجل فقط، بل حكمها عام، لأن لفظها عام «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ من نِّسَائهِمْ»، والذين اسم موصول من صنع العموم، وكذا في قوله: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ من نِّسَائهِمْ» هذا أيضًا من صيغ العموم، فتشمل السبب الذي نزلت من أجله بغيره، لأن الآية عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (ينظر: كتاب شرح الأصول من علم الأصول- للشيخ محمد صالح

العثيمين- ص ٢٠٤-٢٠٦).

وقد يدل دليل على تخصيص العام بما يشبه حال السبب الذي ورد من أجله ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس من البر الصيام في السفر». (أخرجه البخاري برقم (١٩٤٦)، ومسلم برقم (١١١٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما). فإن سببه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد ظلل عليه، فقال: «ما هذا؟»، قالوا: صائم، فقال: «ليس من البر الصيام في السفر».

فهذا العموم خاص بما يشبه حال هذا الرجل، وهو من يشق عليه الصيام في السفر، والدليل على تخصيصه بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم في السفر حيث كان لا يشق عليه، ولا يفعل صلى الله عليه وسلم ما ليس ببر.

ومثله -إن شئنا أن نقيس- المريض الذي يشق عليه الصوم؛ لأن بعض الناس يكون مريضًا ويشق عليه الصوم ولكن يصر على أن يصوم، فنقول له: هذا ليس من البر، بل نقول: قد يحرم عليه الصوم إذا كان يخشى من زيادة المرض أو تطاوله. (شرح الأصول من علم الأصول- للشيخ محمد الصالح بن عثيمين- ص ٢٠٦- ٢٠٨ بتصرف).

تخصيص السنة بالقرآن:

قد تخص السُّنَّة بالقرآن، ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... الحديث». (أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٢)).

خص بقوله تعالى: « قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » (التوبة: ٢٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى». (أخرجه أبو داود برقم (١٦٣٤)، والترمذي برقم (٦٥٢)، وأحمد في المسند برقم (٦٥٣٠)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وصححه الألباني في صحيح أبي داود).

خص بقوله تعالى: «وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ » (التوبة: ٦٠). (الإتقان في علوم القرآن- للسيوطي- ج٢- ص ٣٤ بتصرف).

أقسام العام:

العام على ثلاثة أقسام:

١) الباقي على عمومه: ومثاله قوله: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (النساء: ١٧٦)، وقوله: «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » (الكهف: ٤٩)، وقوله: « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» (النساء: ٢٣).

٢) العام المراد به الخصوص: ومثاله قوله تعالى: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ» (آل عمران: ١٧٣).

فالمراد بالناس الأولى نعيم بن مسعود، والمراد بالناس الثانية أبو سفيان، وكقوله تعالى: « فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ » (آل عمران: ٣٩)، والمنادى جبرائيل كما في قراءة ابن مسعود.

٣) العام المخصوص: وأمثلته في القرآن كثيرة ومنه قوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» (البقرة: ١٨٧). وقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (آل عمران: ٩٧).

الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص:

إن العام المراد به الخصوص لا يراد شموله لجميع الأفراد من أول الأمر، بل هو ذو أفراد استعمل في فرد واحد منها أو أكثر، فالناس في قوله: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» وإن كان عامًا إلا أنه لم يُرَد به لفظًا وحكمًا سوى فرد واحد، أما العام المخصوص فأريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لا من جهة الحكم فلفظ الناس في قوله: «وَلِله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» عام أريد به ما يتناوله اللفظ من الأفراد، وإن كان حكم الحج لا يتناول إلا المستطيع منهم خاصة. (مباحث في علوم القرآن- للشيخ مناع القطان- ص ٢١٥- ٢١٨).

والله من وراء القصد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضرب المثل لكفار قريش

إعداد الشيخ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا المقال نتكلم عن مثل من الأمثال القرآنية، وقد ورد الكلام عليه في سبع عشرة آية من سورة القلم من الآية (١٧- ٣٣).

قال تعالى: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (القلم: ١٧- ٣٣).

التفسير الإجمالي:

قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعم الجسيمة، وهو بعثه محمدًا صلى الله عليه وسلم إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة فحل بهم العذاب كما حل بمن جحد نعمة الله

التفسير التفصيلي:

«إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ»: يريد تعالى قريش أي امتحنَّاهم.

«كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ»: المعروف خبرهم عندهم.

«إِذْ أَقْسَمُوا» حلفوا فيما بينهم «لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ» أي في الصباح ليدخلوا الثمرة في بيوتهم والمساكين نائمون. «وَلَا يَسْتَثْنُونَ»: لم يقولوا عند ذلك سبحان الله أو إن شاء الله.

«فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ» نزلت عليها نار من السماء بالليل فأحرقتها «وَهُمْ نَائِمُونَ» على فرشهم. «فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ» أي كالليل المظلم من الاحتراق والسواد بسبب نيتهم الفاسدة بحرمان الفقراء من الصدقة. «فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ» أي نادى بعضهم بعضًا في الصباح للذهاب لصرام النخل «أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ» مبكرين «إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ»

أي قاطعين للنخل قبل مجيء المساكين.

«فَانطَلَقُوا» مشوا إليها «وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ» يتناجون بينهم سرًا حتى لا يشعر بهم أحد ولا يسمع كلامهم.

« أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ» أي امنعوا المساكين من الدخول عليكم على خلاف عادة والدهم الذي كان يتصدق عليهم منها.

« وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ» أي: قوة وشدة، وقيل: جد.

«فَلَمَّا رَأَوْهَا» سوداء محترقة، ظنُّوا أنهم أخطأوا الطريق الموصل إليها.

«قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ» تائهون في طريقنا إليها ثم عرفوها بالعلامات حولها فرجعوا على أنفسهم باللوم «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» منها عقوبة لنا على ما عزمنا عليه من حرمان المساكين من الصدقة كفعل أبينا وعلى ما تركنا من الاستثناء سبحان الله تعالى.

«قَالَ أَوْسَطُهُمْ» أعدلهم وأعقلهم «أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ» الله تعالى فلو قلتم سبحان الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ولم تتفقوا على حرمان الفقراء من الصدقة «قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» فيما قصدناه من منع المساكين حقوقهم من الثمرة.

«فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ» على ما وقع منهم وأنهم السبب في احتراق البستان. «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ» متجاوزين الحد في المعصية حتى أصاب النخل ما أصابه. «عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا» أفضل منها بتوبتنا واعترافنا بذنبنا وخطئنا. «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» في طاعته ومغفرته.

«كَذَلِكَ الْعَذَابُ» بالحرمان بما أصاب أصحاب البستان من احتراق النخل والثمرة «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ» في نار جهنم «أَكْبَرُ» وأعظم من عذاب الدنيا «لَوْ كَانُوا» أي أهل مكة «يَعْلَمُونَ» لآمنوا بالرسول وما جاء به وقد آمن أكثرهم والحمد لله. (تفسير المفردات مستفاد من: المحرر الوجيز لابن عطية- وفتح البيان لصديق حسن- تفسير القرآن بالقرآن للقاسم- وتفسير ابن كثير- تفسير البغوي- بتصرف).

التفسير الموضوعي:

قال الله تعالى: « إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ١٨ » إلى قوله تعالى: « كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٣٣ ».

والمعنى: إنا اختبرنا أهل مكة، كما اختبرنا أصحاب البستان المعروف وخبرهم عند قريش، حين حلفوا أنهم سيقطعون ثمر البستان عند الصباح، حتى لا يعلم بهم الفقراء، فيأخذون ما كانوا يأخذونه، طمعًا في اقتناء الغلة والزرع والقصد من الاختبار: معرفة حالهم، أيشكرون نعم الله عليهم، فيؤمنوا برسول الله المرسل إليهم بشيرًا ونذيرًا، أم يكذّبونه ويجحدون برسالته، وينكرون حق الله عليهم، ولا يقولون: إن شاء الله، أو لا يستثنون نصيب المساكين.

وضمير الغائبين في قوله: «بَلَوْنَاهُمْ» يعود إلى (المكذبين) في قوله: «أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» فإن الازدهاء والغرور بسعة الرزق المفضين إلى الاستخفاف بدعوة الحق واهمال النظر كنهها ودلائلها قد أوقعا من قديم الزمان أصحابهما في بطر النعمة واهمال الشكر فجرَّ ذلك عليهم شر العواقب، فضرب الله للمشركين مثلاً بحال أصحاب هذه الجنة لعلهم يستفيقون من غفلتهم وغرورهم. كما ضرب المثل بقريب منه في سورة الكهف وضرب مثلا بقارون في سورة القصص.

والبلوى حقيقتها: الاختبار، وهي هنا تمثيل بحال المبتلى في إرخاء الحبل له بالنعمة ليشكر أو يكفر، فالبلوى المذكورة هنا بلوى بالخير؛ فإن الله أمد أهل مكة

بنعمة الأمن، ونعمة الرزق، وجعل الرزق يأتيهم من كل جهة، ويسر لهم سبل التجارة في الآفاق بنعمة الإيلاف برحلة الشتاء ورحلة الصيف فلما أكمل لهم النعمة بإرسال رسول منهم ليكمل لهم صلاح أحوالهم ويهديهم إلى ما فيه النعيم الدائم فدعاهم وذكرهم بنعم الله أعرضوا وطغوا ولم يتوجهوا إلى النظر في النعم السالفة ولا في النعمة الكاملة التي أكملت لهم النعم.

ووجه المشابهة بين حالهم وحال أصحاب الجنة المذكورة هنا هو الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته.

وهذا التمثيل تعريض بالتهديد بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم والقحط بعد الخصب.

فالآيات الكريمات تفيد إخباره تعالى عن ابتلائه لمشركي قريش بالجدب والقحط والجوع والخوف بدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم لما قابلوا نعمة بعثه وارساله ودعوته لهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم ونجاتهم بالإعراض والإنكار والجدال والأذية له إلى أن هاجر من بلده إلى المدينة بقوله: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ» أي أهل مكة بما سبق حتى أكلوا الجيف «كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» التي كان أبوهم ينفق عليهم منها قدر كفايتهم في السنة ويتصدق بالفاضل منها على المساكين فلما عزموا على حرمانهم من الصدقة عاقبهم الله بحرمانهم منها.

ثم هناك ابتداء مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر قريش في قوله تعالى: «كَذَلِكَ الْعَذَابُ» أي مثل ذلك العذاب الذي نزل بالجنة: العذاب الذي ينزل بقريش بغتة وهو عذاب كل من خالف أمر الله، وعذاب الآخرة أشد وأعظم من عذاب الدنيا فلو كان المشركون يعلمون ذلك، لعادوا إلى رشدهم، وبادروا إلى الإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل على غفلتهم وجهلهم.

قال كثير من المفسرين: العذاب النازل بقريش المماثل لأمر الجنة: هو الجدب الذي أصابهم سبع سنين، حتى رأوا الدخان، وأكلوا الجراد.

قال ابن كثير في نهاية هذه الآيات: «كَذَلِكَ الْعَذَابُ» أي هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرا «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أي: هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق. (مستفاد من: التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي- التحرير والتنوير لابن عاشور- تفسير القرآن بالقرآن للقاسم- تفسير ابن كثير).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513